أنطون تشيخوف

الخال فانيا

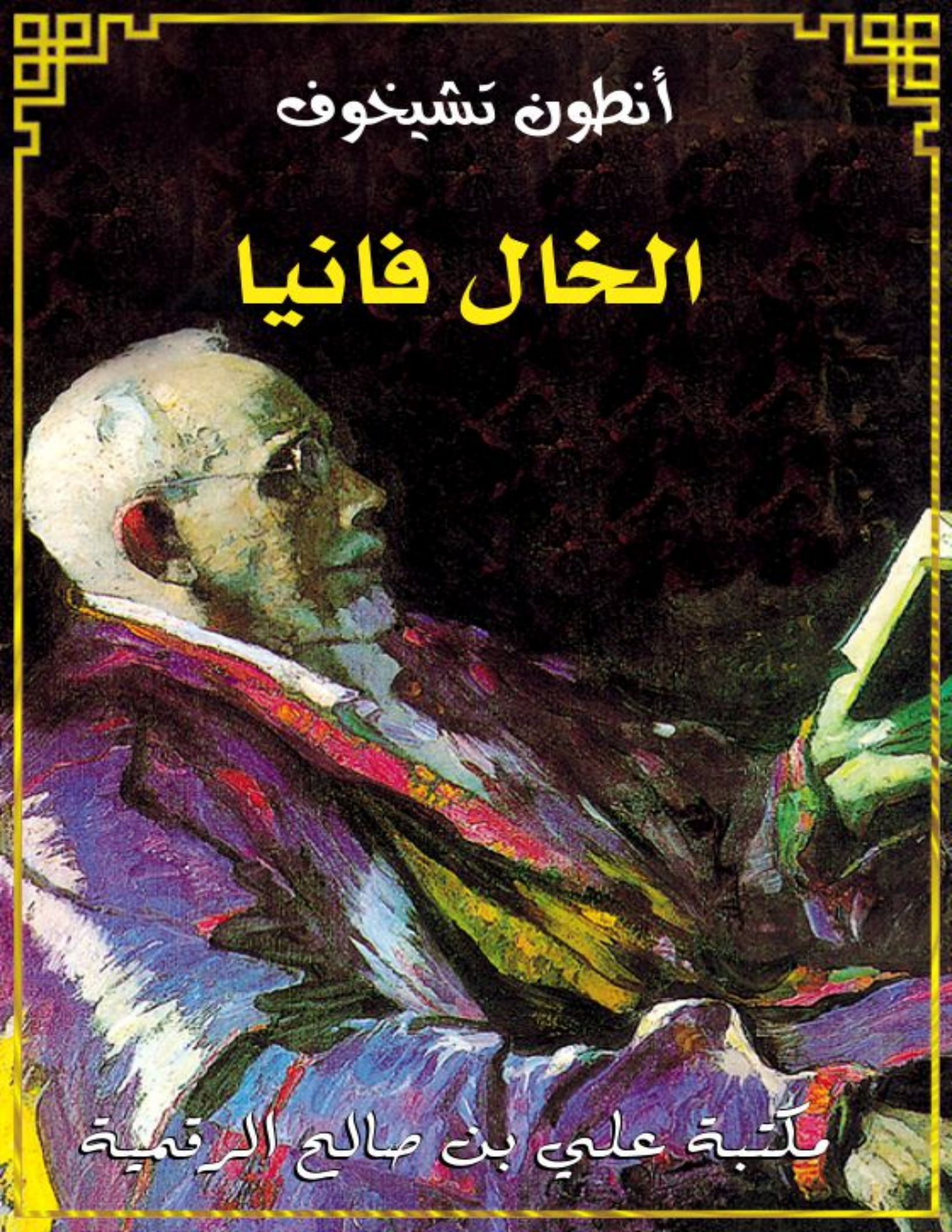

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أنطون تشيخوف

الخال فانيا

مشاهد من الحياة الريفية

مسرح

ترجمة: أبو بكر يوسف

1889

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

شخصيات المسرحية

سيريبرياكوف ألكسندر.

فلاديميروفتش: أستاذ متقاعد.

يلينا أندرييفنا: زوجته ٧٢ سنة.

صوفيا ألكسندروفنا (سونيا): ابنته من زوجته الأولى.

فوينيتسكايا ماريا فاسيليفنا: أرملة مستشار سري – أم زوجة الأستاذ الأولى.

فوينيتسكي إيفان بتروفيتش: ابنها.

أستروف ميخائيل لفوفيتش: طبيب.

تيليجين إيليا إيليتش: إقطاعي مفلس.

مارينا: مربية عجوز.

عامل.

(تدور الأحداث في ضَيعة سيريبرياكوف.)

الفصل الأول

(بستان. يُرَى جزء من المنزل بشرفة. تحت شجرة عتيقة في ممرٍّ، وُضعت طاولة عليها آنية الشاي. أرائك، مقاعد. على إحدى الأرائك جيتار. وغير بعيد عن الطاولة أرجوحة. الساعة تدور في الثالثة بعد الظهر. الجو غائم. مارينا (عجوز رخوة، قليلة الحركة، تجلس بجوار السماور، وتَحِيك جوربًا)، وأستروف (يذرع المكان بجوارها).)

مارينا (تصبُّ الشاي في كوب)**:** تفضَّل يا بُني.

أستروف (يتناول الكوب بلا رغبة)**:** لا أشعر برغبة.

مارينا: هل تريد بعض الفودكا؟

أستروف: كلَّا. أنا لا أشرب الفودكا كل يوم. ثم إنَّ الجو خانق.

(صمت.)

يا دادة، كم سنة مضَت على تعارفنا؟

مارينا (متفكرة)**:** كم سنة؟ فلْيَهَبْني الله الذاكرة ... أنت وصلت إلى هنا، إلى هذه الناحية ... متى؟ كانت فيرا بتروفنا، أمُّ سونيا، لا تزال على قيد الحياة ... أنت جئت إلينا شتاءَين وهي بعدُ حيَّة ... إذن مرَّت حوالي إحدى عشرة سنة. (بعد تفكير قصير) وربما أكثر ...

أستروف: هل تغيَّر كثيرًا من ذلك الحين؟!

مارينا: كثيرًا. كنتَ آنذاك شابًّا، جميلًا، أمَّا الآن فهَرِمتَ، ولم تَعُد جميلًا كما كنتَ. والفودكا أيضًا لا تتجنَّبها.

أستروف: نعم ... خلال عشر سنوات أصبحتُ شخصًا آخر. وما هو السبب؟ كثرة العمل يا دادة. من الصباح إلى المساء على قدمي، لا أعرف للراحة طعمًا، وفي الليل أرقد تحت البطانية، وأخشى أن يستدعوني لعيادة مريض. طوال هذه الفترة التي مضَت على تعارُفِنا لم يكن عندي يومُ فراغ واحد ... فكيف لا أهرم؟ ثم إنَّ الحياة بحدِّ ذاتها مملَّة، حمقاء، قذرة ...

تشدُّك كالمستنقع! لا ترى حولك سوى أناس غريبي الأطوار، فقط غريبي الأطوار. وعندما تعيش بينهم عامين أو ثلاثة، تصبح أنت نفسك شيئًا فشيئًا، ودون أن تلاحظ، غريبَ الأطوار، قدر محتوم. (يفتل شاربَيه الطويلَين) انظري هذه الشوارب الضخمة التي ربَّيتُها ... شوارب حمقاء ... أصبحتُ غريب الأطوار يا دادة ... بخصوص الغباء، لم أُصبح غبيًّا بعدُ والحمد لله، ظل عقلي في مكانه، لكن الأحاسيس تبلَّدت بصورة ما. لا أريد شيئًا، لا أحتاج إلى شيء، لا أحبُّ أحدًا ... اللهم إلا أنتِ فقط. (يقبِّل رأسها) في طفولتي مارينا كان لديَّ دادة مثلك.

مارينا: لعلك تريد أن تأكل؟

أستروف: كلَّا، في الصيام الكبير سافرت في الأسبوع الثالث إلى قرية ماليتسكويه لمكافحة الوباء ... وباء التيفوس ... بيوت الفلاحين مكدَّسة بالبشر ... قذارة، عفونة، دخان، والعجول على الأرض، مع المرضى ... والخنازير أيضًا ... عملت طوال النهار، لم أجلس لحظة، لم أَذُق حتى قطرة ماء، وحينما عُدت إلى البيت لم يدعوني أرتاح، جاءوا من السكَّة الحديدية بعامل التحويلة. وضعتُه على الطاولة لأُجريَ له عمليةً جراحية، فإذا به يموت تحت البنج. وهنا، وحيث لا داعي، استيقظَت أحاسيسي، فشعرتُ بوخز ضمير كأنما قتلتُه عن عمد ... جلستُ، وأغمضت عينيَّ، هكذا، ورُحْت أفكر ... ترى هل سيذكرنا بكلمة طيبة أولئك الذين سيأتون بعدنا بمائة أو مائتي عام، مارينا، والذين نشقُّ لهم الآن الطريق؟ لن يذكروا يا دادة!

مارينا: إذا لم يذكر الناس فالله يذكر.

أستروف: لك الشكر ... أحسنت القول.

(يدخل فوينيتسكي.)

فوينيتسكي (يخرج من البيت. شبع نومًا بعد الإفطار، ويبدو مظهره غير مهندم. يجلس على الأريكة. يُصلح رابطة عنقه الأنيقة)**:** نعم ...

(صمت.)

نعم ...

أستروف: شبعت نومًا؟

فوينيتسكي: نعم ... جدًّا. (يتثاءب) منذ أن بدأ الأستاذ يعيش هنا مع قرينتِه اختلَّ نظامُ الحياة ... أنام في غير الأوان، وفي الإفطار والغداء أتناول شتى أنواع الصلصات، وأشرب الخمر

... كلّ هذا مضرٌّ! من قبلُ لم تكن عندي دقيقة فراغ؛ كنت أعمل أنا وسونيا كالفَعَلة ... والآن فـ «سونيا» هي التي تعمل، أما أنا فأنام وآكل وأشرب ... شيء مخجل!

مارينا (تهزُّ رأسها)**:** يا لَها من أحوال! الأستاذ ينهض في الساعة الثانية عشرة، والسماور يغلي منذ الصباح في انتظاره. قبل أن يأتوا كنَّا نتغدَّى دائمًا في الواحدة، مثل كل الناس، أما الآن ففي السابعة ... وفي الليل يقرأ الأستاذ ويكتب، وفجأة يدقُّ الجرس في الساعة الثانية ... ماذا هناك يا ربي؟! يريد شايًا! فلتوقظ من أجله الناس، ولتُشعل السماور ... يا لَها من أحوال!

أستروف: وهل سيبقَون هنا طويلًا؟

فوينيتسكي (يصفر)**:** مائة سنة! ... قرَّر الأستاذ أن يستقر هنا.

مارينا: والآن نفس الأمر ... السماور يغلي منذ ساعتين، أمَّا هم فذهبوا ليتنزَّهوا.

فوينيتسكي: قادمون ... قادمون ... اطمئني.

(تُسمَع أصوات. من عمق البستان يُقبل سيريبرياكوف ويلينا أندرييفنا وسونيا وتيليجين.)

سيريبرياكوف: رائع رائع ... مناظر خلَّابة!

تيليجين: بديعة يا صاحب المعالي.

سونيا: سنذهب غدًا إلى الغابة يا بابا. هل تأتي؟

فوينيتسكي: يا سادة، تفضَّلوا الشاي!

سيريبرياكوف: أرجوكم يا أصدقاء ابعثوا بالشاي إلى مكتبي لو سمحتم، عليَّ اليوم أن أُنجزَ بعض الأشياء.

سونيا: الغابة ستُعجبك حقًّا.

(تدخل يلينا أندرييفنا، وسيريبرياكوف، وسونيا البيت. يتجه تيليجين إلى المائدة ويجلس بجوار مارينا.)

فوينيتسكي: الجو حار، خانق، وعالِمُنا العظيم يرتدي المعطف والخفَّ والقفازات ويحمل المظلة.

أستروف: إذن فهو يراعي نفسه.

فوينيتسكي: ما أجملها! ما أجملها! ... لم أرَ في حياتي امرأةً أجمل منها.

تيليجين: يا مارينا تيموفييفنا، سواء كنت أمرُّ بالعربة في الحقل، أم أتنزَّه في البستان الظليل، أم أنظر إلى هذه المائدة، فإنني أشعر بمتعة لا تفسير لها! الجو ساحر، والطيور تصدح، وكلُّنا نعيش في سلام ووئام، فما الذي نبغيه أكثر؟ (يتناول منها الكوب) تقبَّلي خالص شكري!

فوينيتسكي (حالمًا)**:** عيناها ... امرأة ساحرة!

أستروف: احكِ لنا شيئًا يا إيفان بتروفتش.

فوينيتسكي (بتراخٍ)**:** ماذا تريد أن تسمع؟

أستروف: أليس لديك جديد؟

فوينيتسكي: كلَّا ... كل شيء قديم ... أنا مثلما كنت، بل وأصبحت أسوأ، فقد تكاسلت، ولا أفعل شيئًا، فقط أتذمَّر كالعجوز المزعج ... وعصفورتي العجوز، maman، ما زالت تتحدَّث عن تحرير المرأة. تنظر بإحدى عينَيها إلى القبر، وبالأخرى تبحث في كتبها الذكية عن فجر الحياة الجديدة.

أستروف: والأستاذ؟

فوينيتسكي: الأستاذ، كما في السابق، يجلس في غرفة مكتبه من الصباح حتى آخر الليل ويكتب. «ونقدح التفكير، نعصر الجبين، ونكتب القصائد العصماء، لكننا لا نسمع الثناء، لما نخطُّ أو لشخصنا الكريم.» يا لَلورق المسكين! كان الأفضل لو كتب سيرة حياته. يا لَه من موضوع ممتاز! أستاذ متقاعد، أتدري ... عجوز أعجف، فسيخة مقددة متعلمة ... يعاني من النقرس والروماتيزم والصداع، ومن الغيرة والحسد انتفخَت كبدُه ... وتعيش هذه الفسيخة في ضَيعة زوجته الأولى، يعيش مرغَمًا؛ لأنه غير قادر على تحمُّل تكاليف الحياة في المدينة. ويشكو دائمًا من مصائبه، رغم أنه في الواقع سعيد إلى أقصى حدٍّ. (بعصبية) انظر أي حظ! ابن شماس بسيط، تلميذ مدرسة دينية، ولكنه حصل على الدرجات العلمية وعلى كرسيِّ تدريس، وأصبح صاحبَ المعالي، وصهرًا لعضو مجلس الشيوخ، وهلمَّ جرًّا، وهلمَّ جرًّا ... غير أنَّ هذا كلَّه عمومًا غيرُ مهم. لكن انظر إلى التالي. شخص يقرأ ويكتب عن الفن طوال خمس وعشرين سنة؛ وهو لا يفقه في الفن شيئًا على الإطلاق. طوال خمس وعشرين سنة يلوك أفكار الآخرين حول الواقعية والناتورالية وغيرها من السخافات. خمسًا وعشرين سنة

يقرأ ويكتب عمَّا هو معروف من زمان للأذكياء، وغير ممتع للأغبياء، وإذن، فهو طوال خمس وعشرين سنة يطحن الماء. وفي الوقت نفسه فأي غرور! أي ادِّعاء! ... لقد تقاعد ولم يَعُد يعرفه إنسان واحد، إنه نكرة. وإذن فقد شغل طوال خمس وعشرين سنة مكانًا ليس له. ولكن انظر كيف يسير، كأنه شبهُ إله!

أستروف: أوَّه، يبدو أنك تحسده.

فوينيتسكي: نعم، أحسده! وأي حظوة لدى النساء! لم يحظَ دون جوان واحد بمثل هذا التوفيق التام! زوجته الأولى، أختي، مخلوق رائع وديع، نقيَّة كهذه السماء الزرقاء، نبيلة، سمحاء، كان لها من العشاق أكثر مما لديه من التلاميذ ... أحبَّته كما لا يحب إلا الملائكة الأطهار أمثالهم من الرائعين الأنقياء. وأمي، حماته، ما زالت تعبده حتى الآن، وإلى الآن ما زال يبعث فيها الرعب المقدس. وزوجته الثانية حسناء، ذكية — قد رأيتها لتوك — تزوَّجَته وقد أصبح عجوزًا، ووهبَته شبابها، وجمالها، وحريَّتَها، وألَقَها. مقابل ماذا، لماذا؟

أستروف: هل هي وفية للأستاذ؟

فوينيتسكي: نعم، للأسف.

أستروف: ولماذا للأسف؟

فوينيتسكي: لأن هذا الوفاء مزيفٌ من الألف إلى الياء. فيه الكثير من التكلف ولكن ليس فيه منطق. فخيانة الزوج العجوز الذي لا تُطيقه شيءٌ لا أخلاقي ... أما قهر الشباب المسكين والمشاعر الحيَّة فليس شيئًا لا أخلاقيًّا.

تيليجين (بصوتٍ باكٍ)**:** فانيا، أنا لا يعجبني كلامك هذا. يكفي، حقًّا ... إنَّ مَن يَخُن زوجته أو مَن تَخُن زوجها، فهو إنسان غير مخلص، بوسعه أن يخون وطنه!

فوينيتسكي (بأسًى)**:** أغلق هذه النافورة، يا وفل![1]

تيليجنين: دَعْني أَقُل يا فانيا. زوجتي هربت مني مع حبيبها في اليوم الثاني لزواجنا مباشرة بسبب هيئتي غير الجذابة. ومن يومها لم أُخلَّ بواجبي. ما زلتُ إلى الآن أُحبُّها، مخلصًا لها، وأُساعدها بقدر ما أستطيع، وأنفقتُ ما أملك لتربية أولادها الذين أنجبَتهم ممن أحبَّته. لقد فقدتُ السعادة ... ولكن بقيَت لي العزة. وهي؟ ولَّى شبابُها، وانطفأ جمالها تحت تأثير قوانين الطبيعة، وتُوُفِّي حبيبُها ... فما الذي بقيَ لها؟

(تدخل سونيا، ويلينا أندرييفنا. بعد قليل تدخل ماريا فاسيليفنا، وبيدها كتاب. تجلس وتقرأ. يقدِّمون لها الشاي، فتتناوله دون أن ترفع عينَيها.)

سونيا (للمربية بعجلة)**:** الفلاحون هناك يا دادة، جاءوا. اذهبي إليهم، أنا سأتولَّى الشاي ... (تصبُّ الشاي.)

(المربية تنصرف. يلينا أندرييفنا تتناول قدحها وتشرب، وهي جالسة في الأرجوحة.)

أستروف (ليلينا أندرييفنا)**:** لقد جئت لرؤية زوجك. أنتِ كتبت لي بأنه مريض جدًّا، روماتزم وأشياء أخرى ... واتضح أنه صحيحٌ مُعافًى.

يلينا أندرييفنا: مساء أمس كان متوعكًا، واشتكى من آلامٍ في ساقَيه، أما اليوم فلا بأس.

أستروف: ولكني قطعتُ ثلاثين فرسخًا على عجل. لا بأس. ليست هذه أول مرة. على كل حال سأبقى عندكم إلى الغد، على الأقل أنام quantum satis.[٢]

سونيا: عظيم. من النادر أن تبيت عندنا. تراك لم تتغدَّ؟

أستروف: كلا، لم أتغدَّ.

سونيا: إذن تتغدَّى معنا بالمناسبة. نحن الآن نتغدَّى في السابعة. (تشرب الشاي) الشاي بارد!

تيليجين: الحرارة هبطت كثيرًا في السماور.

يلينا أندرييفنا: لا بأس يا إيفان إيفانيتش، سنشربه باردًا.

تيليجين: عفوًا ... ليس إيفان إيفانيتش، بل إيليا إيليتش ... إيليا إيليتش تيليجين، أو كما يحلو للبعض أن يُسمِّيَني الوفل بسبب وجهي المجدور. في وقت ما عمَّدتُ سونيا، وصاحب المعالي زوجك يعرفني جيدًا ... أنا الآن أعيش عندكم في هذه الضيعة ... ولعلك لاحظت أنني أتغدَّى معكم كل يوم.

سونيا: إيليا إيليتش مساعدنا، ذراعنا اليمنى. (برقَّة) هات يا أبي في العماد أصب لك مزيدًا من الشاي.

ماريا فاسيليفنا: آه!

سونيا: ماذا بكِ يا جدتي؟

ماريا فاسيليفنا: نسيت أن أقول لألكسندر ... تخونني ذاكرتي ... اليوم تسلمت رسالة من بافل أليكسيفتش في خاركوف ... أرسل إلينا كتيِّبَه الجديد.

أستروف: أهو شيِّق؟

ماريا فاسيليفنا: شيِّق، ولكنه غريب نوعًا ما ... يدحض ما كان يدافع عنه هو نفسه منذ سبع سنوات ... هذا فظيع!

فوينيتسكي: ليس في ذلك أيُّ فظاعة ... اشربي الشاي يا maman.

ماريا فاسيليفنا: ولكنِّي أريد أن أتحدث!

فوينيتسكي: ولكننا منذ خمسين سنة نتحدث ونتحدث ونقرأ الكُتيِّبات. آن إذن أن نفرغ من ذلك.

ماريا فاسيليفنا: لست أدري لماذا تشعر بالضيق عندما تسمعني أتحدث. عفوًا يا جان، ولكنك في السنة الأخيرة تغيَّرت كثيرًا حتى لم أَعُد أعرفك ... كنت شخصًا محددَ المبادئ، شخصية مشرقة ...

فوينيتسكي: أوَّه، طبعًا! كنت شخصية مشرقة لا تنشر نورها على أحد ...

(صمت.)

كنت شخصيةً مشرقة ... ليس هناك مزحةٌ أكثر سمًّا من هذا! أنا الآن في السابعة والأربعين ... حتى العام الماضي كنت مثلَك أضع على عينيَّ عمدًا غشاوةً من سفسطتك هذه كي لا أرى الحياة الحقيقية، وكنت أظن أنني أصنع خيرًا ... أما الآن، آه لو تدرين! لا أنام الليل من الأسى، من الغيظ؛ لأني أهدرت بحماقة ذلك العمر الذي كان بوسعي أن أحصل فيه على كل ما تحرمه عليَّ الآن شيخوختي!

سونيا: هذا مملٌّ يا خالي فانيا!

ماريا فاسيليفنا (لابنها)**:** كأنك تتَّهم معتقداتك السابقة بجريمة ما ... ولكنها ليست المذنبة، بل أنت ... لقد نسيت أن المعتقدات في حدِّ ذاتها ليست شيئًا، أحرف ميتة! ... كان ينبغي أن تؤديَ عملًا.

فوينيتسكي: عمل؟ ليس بوسعِ كلِّ واحد أن يكون perpetuum mobile! كاتبًا،[٣] مثل صاحبك الهر بروفيسور.

ماريا فاسيليفنا: ماذا تريد بذلك أن تقول؟

سونيا (بضراعة)**:** يا جدتي! يا خالي فانيا! أتوسل إليكما!

فوينيتسكي: ها أنا ذا أسكت ... أسكت وأعتذر.

(صمت.)

يلينا أندرييفنا: الطقس اليوم جيِّد ... ليس حارًّا.

(صمت.)

فوينيتسكي: في طقس كهذا يحلو الانتحار شنقًا ...

(تيليجين يضبط الجيتار. مارينا تتحرك بجوار البيت، وتنادي الدجاجات.)

مارينا: كِتْ، كِتْ، كتْ ...

سونيا: لماذا جاء الفلَّاحون يا دادة؟

مارينا: لنفس الغرض، بخصوص قطعة الأرض الفضاء ... كتْ، كتْ، كتْ ...

سونيا: مَن تنادين؟

مارينا: الفرخة الأم ذهبت مع الكتاكيت ... أخشى أن تُطاردها الحِدَأة ... (تنصرف.)

(تيليجين يعزف البولكا. الجميع يُصغون في صمت. يدخل أحد العاملين.)

العامل: السيد الدكتور هنا؟ (لأستروف) تفضَّل يا ميخائيل لفوفتش، هناك مَن يطلبك.

أستروف: من أين؟

العامل: من الفابريكة.

أستروف (بأسَى)**:** شكرًا جزيلًا ... طيب، عليَّ أن أرحل ... (يبحث بعينَيه عن العمرة) يا للشيطان! أمر مؤسف.

سونيا: صحيح، شيء مزعج ... بعد الفابريكة تعالَ إلى الغداء.

أستروف: كلّا، سيكون ذلك متأخرًا ... أين لنا؟ وكيف؟ (للعامل) اسمع ... أحضِر لي من فضلك كأس فودكا، بالفعل.

(العامل ينصرف.)

أين لنا؟ وكيف؟ (يجد عمرته) في إحدى مسرحيات أستروفسكي يوجد شخص بشوارب كبيرة ومواهب قليلة ... هذا هو أنا. حسنًا، وداعًا يا سادة ... (ليلينا أندرييفنا) لو زُرْتني في يوم ما، ربما مع صوفيا ألكسندروفنا، فسأكون في غاية السرور ... عندي ضيعة صغيرة، لا تزيد على ثلاثين ديسياتينا، ولكن إذا كنتِ تهتمِّين فعندي بستانٌ نموذجي ومشتل لن تجدي مثله على بُعد ألف فرسخ. وقريبًا مني غابة حكومية ... الحارس هناك عجوز، مريض دائمًا؛ ولذلك فأنا في الواقع أتولَّى جميع الأعمال.

يلينا أندرييفنا: أخبروني أنك تحب الغابات كثيرًا ... بالطبع من الممكن أن تؤديَ بذلك خدمةً كبيرة، ولكن ألَا يعرقل هذا مهمتك الحقيقية؟ إنك طبيب.

أستروف: الله وحده يعلم ما هي مهمتنا الحقيقية.

يلينا أندرييفنا: وهل الأمر شيِّق؟

أستروف: نعم شيِّق!

فوينيتسكي (بسخرية)**:** جدًّا!

يلينا أندرييفنا (لأستروف)**:** أنت لم تزَل شابًّا ... من مظهرك تبدو في الـ ... حسنًا، في السادسة أو السابعة والثلاثين ... وأعتقد أن الأمر ليس شيِّقًا كما تقول. الغابة ولا شيء آخر، أظن أنَّ ذلك رتيبٌ مملٌّ.

سونيا: كلَّا ... هذا شيِّق للغاية ... ميخائيل لفوفتش يغرس كلَّ عام غاباتٍ جديدة، وقد أرسلوا له ميدالية برونزية وشهادة، وهو يسعى من أجل المحافظة على الغابات القديمة. ولو استمعتِ إليه فستوافقينَه تمامًا ... يقول إنَّ الغابات زينة الأرض، وإنها تُعلِّم الإنسان كيف يُدرك الجمال، وتُوحي إليه بمزاج العظمة. الغابات تُخفف من قسوة المناخ. وفي البلدان ذات المناخ المعتدل ينفق الناس مجهودًا أقل في الصراع ضد الطبيعة ولذلك فالإنسان فيها أرقُّ وألطف. الناس هناك حِسان، مرنون، سريعو الانفعال، وكلامهم منمَّق، وحركاتهم رشيقة. والعلوم والفنون مزدهرة لديهم، وفلسفتهم ليست كئيبة، ونظرتهم إلى المرأة مفعمة بالنبل الجميل ...

فوينيتسكي (ضاحكًا)**:** برافو! برافو! ... كل هذا لطيف ولكن غير مقنع؛ ولذلك (ملتفتًا إلى أستروف) فلتسمح لي يا صديقي أن أُواصل إشعال الحطب في المدافئ، وبناء الحظائر من الأخشاب.

أستروف: بوسعك أن تستخدم فحمَ المستنقعات للتدفئة، وأن تبنيَ الحظائر من الأحجار. حسنًا، إنني أفهم أن نقطع الأشجار بسبب الحاجة، ولكن لماذا تقضي على الغابات؟ الغابات الروسية تتهاوَى تحت ضربات الفئوس، وتهلك مليارات الأشجار، وتقفز ملاجئ الوحوش والطيور، وتغيضُ وتجفُّ الأنهار، وتختفي بلا رجعة المناظر الطبيعية الرائعة، وكل ذلك؛ لأنَّ الإنسان الكسول لا يجد من العقل ما يكفي لكي ينحنيَ ويلتقط الوقود من الأرض. (ليلينا أندرييفنا) أليس كذلك يا سيدتي؟ ينبغي أن يكون المرءُ بربريًّا جاهلًا لكي يحرقَ في المدفأة هذا الجمال، ويدمر ما لا نستطيع أن نخلقَه ... لقد وُهِب الإنسان عقلًا وقوة مبدعة لكي يُضاعف ما أُعطيَ له، لكنه إلى الآن لم يُبدع، بل دمَّر. الغابات تتناقص، والأنهار تجفُّ، الطيور البرية اختفَت، والمناخ فسد، ومع كلِّ يوم تُصبح الأرض أفقر وأقبح. (لفوينيتسكي) ها أنت ذا تنظر إليَّ باستهزاء، وكل ما أقوله يبدو لك غيرَ جدي و... وربما كان هذا بالفعل غرابة أطوار، ولكنني عندما أمرُّ بجوار غابات الفلاحين التي أنقذتها من الاجتثاث، أو عندما أسمع حفيف شجيراتي الفتية في الغابة التي غرستها بيديَّ، أُدرك أنَّ المناخ جزئيًّا تحت سيطرتي أنا أيضًا، وأنه إذا ما أصبح الإنسان سعيدًا بعد ألف عام، فسأكون أنا إلى حدٍّ ما أحدَ المتسبِّبين في ذلك. عندما أغرس بتولًا، ثم أراها وهي تخضرُّ وتهتزُّ مع الريح، تمتلئ روحي بالفخر وأنا ... (يرى بجواره العامل حاملًا كأسَ فودكا على صينية) حسنًا ... (يشرب) آنَ لي أن أمضيَ ... ربما كان ذلك كله غرابة أطوار بالفعل ... وداعًا يا سادة! (يتَّجه إلى البيت.)

سونيا (تتأبط ذراعه وتمضي معه)**:** متى ستأتي لتزورَنا؟

أستروف: لست أدري.

سونيا: مرَّة أخرى بعد شهر؟ ...

(يمضي أستروف وسونيا إلى البيت. تبقى ماريا فاسيليفنا، وتيليجين بجوار المائدة. تمضي يلينا أندرييفنا، وفوينيتسكي إلى الشرفة.)

يلينا أندرييفنا: مرة أخرى كان سلوكك يا إيفان بتروفتش فظيعًا ... هل كان ثَمَّة ضرورة لإثارة ماريا فاسيليفنا، والحديث عن perpetuum mobile! واليوم أيضًا تجادلت مع ألكسندر أثناء الإفطار. ما أسخف ذلك!

فوينيتسكي: وما العمل إذا كنت أمقته!

يلينا أندرييفنا: ليس هناك ما يدعو إلى كراهية ألكسندر، إنه مثل الآخرين. ليس أسوأ منك.

فوينيتسكي: آه لو كان بوسعكِ أن تري وجهكِ وحركاتكِ! ... كم تتكاسلين على الحياة! ... يا لَه من كسل!

يلينا أندرييفنا: آه ... نعم كسل وملل! ... الجميع يذمُّون زوجي، والجميع ينظرون إليَّ برثاء: يا للبائسة! زوجة عجوز! هذا الإشفاق عليَّ ... أوَّه كم أفهمه! مثلما قال أستروف الآن: كلكم تُهلكون الغابات بلا تبصُّر، وعمَّا قريب لن يبقى شيء على وجه الأرض ... وهكذا تمامًا تُهلكون الإنسان بلا تبصُّر، وعمَّا قريب لن يبقى على وجه الأرض بفضلكم، لا وفاء ولا طهارة ولا قدرة على التضحية بالنفس ... لماذا لا تستطيعون أن تنظروا بلا مبالاة إلى امرأة ليست لكم؟ لأن في داخلِ كلٍّ منكم — وذلك الطبيب على حقٍّ – يقبع شيطان دمار. أنتم لا تُشفقون لا على الغابات، ولا على الطيور، ولا على النساء ولا على بعضكم البعض.

فوينيتسكي: أنا لا أحبُّ هذه الفلسفة!

(صمت.)

يلينا أندرييفنا: هذا الطبيب وجهُه مرهق، عصبي وجه طريف ... يبدو أنه يعجب سونيا، إنها متيَّمة به وأنا أفهمها ... منذ أن حضرت جاء إلى هنا ثلاث مرات، ولكني خجولة فلم أتحدَّث معه كما ينبغي ولا مرَّة، ولم أُلاطفْه. وظنَّ أنني شريرة ... أظنُّ يا إيفان بتروفتش أنَّ صداقتنا على هذه الدرجة من القوة؛ لأننا كلينا مملٌّ! نعم، نحن مضجران! لا تنظر إليَّ هكذا. أنا لا أحب هذا.

فوينيتسكي: وهل أستطيع أن أنظر إليكِ بصورة أخرى إذا كنت أحبك؟ ... أنتِ سعادتي، حياتي، شبابي! أعرف أن فرصتي في الشعور المتبادل ضئيلة، تساوي صفرًا، ولكن لا أطمع في شيء، فقط اسمحي لي بأن أتطلَّع إليكِ، وأسمع صوتكِ.

يلينا أندرييفنا: حاسب وإلا سَمِعك أحد!

(يذهبان إلى البيت.)

فوينيتسكي (سائرًا خلفهما)**:** فلتسمحي لي بأن أتحدَّث عن حبي ... لا تصدِّيني عنكِ ... وهذا وحدَه سيكون أعظمَ سعادة لي!

يلينا أندرييفنا: يا للعذاب!

(يدخلان البيت.)

(تيليجين يضرب على الأوتار ويعزف البولكا. ماريا فاسيليفنا تُدوِّن شيئًا ما على هوامش الكتيب.)

(ستار)

---

[١] وفل: كعكة ذات نتوءات مربعة أو مدورة. (المعرب)

[٢] بما فيه الكفاية (باللاتينية في الأصل). (المعرب)

[٣] محركًا أبديًّا (باللاتينية). (المعرب)

الفصل الثاني

(غرفة الطعام في منزل سيريبرياكوف. الوقت ليل. تسمع دقات الحارس في البستان. سيريبرياكوف يجلس غافيًا في مقعد أمام نافذة مفتوحة، ويلينا أندرييفنا تجلس بجواره غافيةً أيضًا.)

سيريبرياكوف (مستيقظًا)**:** مَن هنا؟ أهي أنتِ يا سونيا؟

يلينا أندرييفنا: هذه أنا.

سيريبرياكوف: أنت يا لينوتشكا ... ألمٌ لا يُطاق!

يلينا أندرييفنا: الحرام سقط منك على الأرض. (تُدثِّر ساقَيه) سأُغلق النافذة يا ألكسندر.

سيريبرياكوف: كلَّا، أشعر بالاختناق ... لقد غفوتُ الآن فحلمت بأنَّ ساقي اليسرى تبدو ليست لي. استيقظتُ من ألمٍ لا يُطاق ... كلَّا هذا ليس نقرسًا، الأرجح روماتيزم ... كم الساعة الآن؟

يلينا أندرييفنا: الثانية عشرة وعشرون دقيقة.

(صمت.)

سيريبرياكوف: ابحثي في الصباح عن باتوشكوف[1] في المكتبة. يبدو أنه موجود.

يلينا أندرييفنا: ماذا؟

سيريبرياكوف: ابحثي في الصباح عن باتوشكوف. أذكر أنه موجود عندنا. ولكن لماذا أشعر بضيق تنفس هكذا؟

يلينا أندرييفنا: لقد أُرهقتَ. لا تنامُ لثاني ليلة.

سيريبرياكوف: يقال إن تورجينيف أُصيب بذبحة صدرية بسبب النقرس. أخشى أن أُصاب أنا أيضًا ... يا لَها من شيخوخة فظيعة، ملعونة، تبًّا لها. عندما أصبحتُ عجوزًا صرت أشمئز من نفسي. ولعلكم جميعًا تشمئزون من النظر إليَّ.

يلينا أندرييفنا: أنت تتحدث عن شيخوختك بنبرة وكأنما نحن كلّنا مذنبون في أنك عجوز.

سيريبرياكوف: أنتِ أول مَن يشمئز مني.

(يلينا أندرييفنا تبتعد عنه، وتجلس على مقربة.)

طبعًا أنتِ على حق. لستُ أحمق وأفهم ... أنتِ شابة، عفية، جميلة، ترغبين في الحياة ... أمَّا أنا فعجوز، جثة تقريبًا. وماذا؟ أتظنينني لا أفهم؟ ومن الحماقة بالطبع أنني ما زلت حيًّا إلى الآن. ولكن اصبروا، قريبًا سأُريحكم جميعًا. لم يبقَ أمامي الكثير.

يلينا أندرييفنا: أنت تُرهقني ... أرجوك اسكت.

سيريبرياكوف: وإذن فبسببي يُرهق الجميع، ويسأمون، ويهلكون شبابهم، وأنا الوحيد الذي أتمتع بالحياة وأشعر بالرضا. طبعًا، فعلًا!

يلينا أندرييفنا: اسكت! لقد عذَّبتني!

سيريبرياكوف: لقد عذبت الجميع. طبعًا.

يلينا أندرييفنا (من خلال الدموع)**:** هذا لا يُطاق! ... قل لي ماذا تبغي مني؟

سيريبرياكوف: لا شيء.

يلينا أندرييفنا: فلتسكت إذن. أرجوك.

سيريبرياكوف: شيء غريب ... إذا ما تحدث إيفان بتروفتش، أو هذه البلهاء العجوز ماريا فاسيليفنا، فلا بأس ... الجميع يُصغون، وما إن أقول ولو كلمة حتى يشعرَ الجميع بأنهم تعساء. حتى صوتي كريهٌ عليهم ... حسنًا، فلنفرض أنني كريه، أنني أناني، طاغية ... أفليس لي بعض الحق، حتى في شيخوختي، في الأنانية؟ ... أفلست جديرًا بذلك؟ ... إنني أسألكم، أليس لي الحق في شيخوخة هادئة، في اهتمام الآخرين بي؟

يلينا أندرييفنا: لا أحدَ ينازع؛ حقوقك.

(الريح تصفق النافذة.)

الريح اشتدَّت، سأُغلق النافذة. (تغلقها) سيسقط المطر حالًا. لا أحد ينازعك حقوقك.

(صمت. الحارس يدقُّ في البستان ويغنِّي.)

سيريبرياكوف: تعمل طوال عمرك من أجل العلم، وتألف غرفة مكتبك، وقاعة المحاضرات، والرفاق المحترمين ... وفجأة تُفيق فتجد نفسك دونما سبب في هذا اللحد، وترى كل يوم أناسًا أغبياء وتسمع أحاديثَ تافهةً ... أنا أريد أن أعيش، إنني أحب النجاح، أحب الشهرة والصخب، أما هنا فكما في المنفى. كل لحظة تحنُّ إلى الماضي، وتُراقب نجاح الآخرين، وتخاف الموت ... لا أستطيع! لا أحتمل! وفوق ذلك لا يريدون أن يغفروا لي شيخوختي!

يلينا أندرييفنا: انتظر، اصبر، بعد خمس أو ست سنوات سأصبح أنا أيضًا عجوزًا.

(تدخل سونيا.)

سونيا: بابا، أنت أمرت باستدعاء الدكتور أستروف، وعندما جاء رفضتَ استقباله. ليس هذا من اللياقة. عبثًا أزعجنا الرجل ...

سيريبرياكوف: وما حاجتي إلى صاحبك أستروف؟ إنه يفهم في الطب كما أفهم أنا في الفلك.

سونيا: هل نستدعي من أجل نقرسك كلية الطب بأكملها؟

سيريبرياكوف: لن أتحدث مع هذا الأبله.

سونيا: كما تشاء. (تجلس) بالنسبة لي سيان.

سيريبرياكوف: كم الساعة الآن؟

يلينا أندرييفنا: تقترب من الواحدة.

سيريبرياكوف: الجو خانق ... أعطيني الدواء من على الطاولة يا سونيا.

سونيا: طيب. (تُناوله الدواء.)

سيريبرياكوف (بعصبية)**:** آه ... ليس هذا! لا يمكن رجاؤكِ في شيء!

سونيا: أرجوكَ دعكَ من النَّزَق. ربما كان ذلك يروق للبعض، أما أنا فأعفني منه من فضلك! أنا لا أحب ذلك. وليس لديَّ وقت. عليَّ غدًا أن أنهض مبكرًا. عندي حصاد.

(يدخل فوينيتسكي في روب حاملًا شمعة.)

فوينيتسكي: العاصفة توشك أن تندلع في الخارج.

(برق.)

انظروا! هيلين وسونيا، اذهبا لتناما. لقد جئت لأحلَّ محلَّكما.

سيريبرياكوف (بجزع)**:** كلَّا، كلَّا، لا تتركاني معه ... سيُرهقني بحديثه!

فوينيتسكي: ولكن ينبغي أن يرتاحا! هذه ثاني ليلة لا ينامانها.

سيريبرياكوف: فليذهبا إلى النوم ولكن اذهب أنت أيضًا. أشكرك. أتوسل إليك. بحق صداقتنا القديمة لا تعارض. سنتحدث فيما بعد.

فوينيتسكي (باستهزاء)**:** صداقتنا القديمة ... القديمة ...

سونيا: اسكت يا خالي فانيا.

سيريبرياكوف (لزوجته)**:** يا عزيزتي، لا تتركيني معه ... سيُرهقني بالحديث.

فوينيتسكي: إن هذا يتحوَّل إلى شيء مضحك.

(تدخل مارينا حاملة شمعة.)

سونيا: اذهبي ونامي يا دادة. الوقت متأخر.

مارينا: السماور لم يرفع بعد عن الطاولة ... فكيف أنام؟

سيريبرياكوف: الجميع ساهرون، مرهقون، أنا الوحيد الذي أستمتع.

مارينا (تقترب من سيريبرياكوف، تقول برقة)**:** ماذا يا عزيزي؟ ... تشعر بألم؟ ... أنا أيضًا ساقاي تَطِنَّان ... تَطِنَّان بلا توقف. (تسوي حرامه) هذا مرضك القديم ... المرحومة فيرا بتروفنا، والدة سونتشكا، كانت لا تنام الليل أحيانًا من جزعها عليك ... كم كانت تحبُّك ...

(صمت.)

العجائز والصغار سيان، يرغبون في العطف، ولكن لا أحدَ يعطف على العجائز. (تُقبِّل سيريبرياكوف في كتفه) هيَّا يا عزيزي، هيَّا إلى الفراش ... هيَّا أيها الغالي ... سأسقيك شايًا من أوراق الزيزفون، وأُدفئ لك ساقَيك ... سأُصلي لله من أجلك.

سيريبرياكوف (متأثرًا)**:** هيَّا يا مارينا.

مارينا: أنا نفسي ساقاي تطنَّان ... تطنَّان بلا توقُّف. (تقوده هي وسونيا) كانت فيرا بتروفنا تجزع أحيانًا، وتظل تبكي ... أنتِ يا سونتشكا كنت آنذاك صغيرة، عبيطة ... هيَّا، هيَّا يا عزيزي.

(ينصرف سيريبرياكوف وسونيا ومارينا.)

يلينا أندرييفنا: لقد تعذبت معه ... لا أكاد أقوى على الوقوف.

فوينيتسكي: أنت تعذبت معه وأنا مع نفسي ... لا أنام لثالث ليلة!

يلينا أندرييفنا: لا توفيق في هذا البيت. أمك تمقت كلَّ شيء ما عدا كتيِّباتها والأستاذ. والأستاذ مستفز، لا يثق فيَّ ويخاف منك. سونيا غاضبة من أبيها، غاضبة مني ولا تحدِّثني منذ أسبوعين. وأنت تمقت زوجي وتحتقر أمك علانية. وأنا مستفزة وكِدْت أبكي اليوم عشرين مرة ... لا توفيق في هذا البيت.

فوينيتسكي: دعينا من الفلسفة!

يلينا أندرييفنا: أنت يا إيفان بتروفتش متعلِّم وذكي، ومن المفروض أن تفهم أن العالم يهلك لا من اللصوص، ولا من الحرائق، بل من الحقد والعداوة، من كل هذه الضغائن التافهة ... الأجدر بك ألَّا تتذمر، بل أن تُصلح بين الجميع.

فوينيتسكي: فلتصالحيني مع نفسي أولًا يا عزيزتي! ... (يرتمي على يدها.)

يلينا أندرييفنا: دَعْني (تسحب يدها) أنصرف!

فوينيتسكي: سينتهي المطر قريبًا، وينتعش كلُّ شيء في الطبيعة، ويتنفس الصعداء ... أنا الوحيد الذي لن تُنعشه العاصفة ... ليل نهار، تخنقني فكرة أن حياتي ضاعت، وبلا رجعة. ليس لديَّ ماضٍ، لقد بدَّدَته بحماقة على التفاهات، والحاضر فظيع في لا معقوليته. هذه هي حياتي وهذا هو حبي ... إلى أين أذهب بهما، وماذا أفعل بهما؟ شعوري يهلك هدرًا كشعاع الشمس الساقط في حفرة، وأنا أيضًا أهلك.

يلينا أندرييفنا: عندما تُحدِّثني عن حبك أشعر بالتبلد ولا أدري ماذا أقول. اعذرني ... ولكنِّي لا أستطيع أن أقول لك شيئًا. (تهمُّ بالذهاب) طابت ليلتك.

فوينيتسكي (يعترض سبيلها)**:** ولو عرفت لم أتعذب من إحساسي بأن حياة أخرى قريبة مني تهلك في هذا البيت ... حياتكِ! ما الذي تنتظرينه؟ ... أية فلسفة لعينة تعوقكِ؟ فلتفهمي إذن، افهمي ...

يلينا أندرييفنا (تحدجه بنظرة ثاقبة)**:** إيفان بتروفتش، أنت سكران!

فوينيتسكي: ربما، ربما ...

يلينا أندرييفنا: وأين الدكتور؟

فوينيتسكي: إنه هناك ... يبيت عندي ... ربما ... كل شيء جائز!

يلينا أندرييفنا: واليوم أيضًا شربت؟ ... ما الداعي؟

فوينيتسكي: على الأقل أشعر بما يشبه الحياة ... لا تعوقيني Hélène![٢]

يلينا أندرييفنا: لم تكن تشرب أبدًا من قبل، ولم تكن تُثرثر هكذا أبدًا ... اذهب ونَم! ... أشعر معك بالملل.

فوينيتسكي (ينكبُّ على يدها)**:** يا عزيزتي ... يا رائعتي!

يلينا أندرييفنا (بأسَى)**:** دَعْني ... هذا كريهٌ في نهاية الأمر. (تتصرف.)

فوينيتسكي (وحده)**:** ذهبت ...

(صمت.)

منذ عشر سنوات قابلتها عند المرحومة أختي. كانت آنذاك في السابعة عشرة، وكنتُ في السابعة والثلاثين. فلماذا لم أقَع آنذاك في هواها وأخطبها؟ كان ذلك ممكنًا جدًّا! ولكانت الآن زوجتي. نعم ... كنَّا استيقظنا الآن معًا بسبب العاصفة. هي فَزِعة من الرعد، وأنا أضمُّها إلى صدري وأهمس «لا تخافي، أنا هنا». أوَّه، يا لَها من أفكار مدهشة، ما أروع ذلك! إنني حتى أضحك ... ولكن، يا إلهي، الأفكار تختلط في رأسي ... لماذا أنا عجوز؟ لماذا لا تفهمني؟ تكلفها هذا، وأخلاقياتها الكسول، وأفكارها التافهة الكسلى حول هلاك العالم ... كل ذلك أمقته غاية المقت.

(صمت.)

أوَّه، كم خُدِعت! كنت أعبد هذا الأستاذ، هذا النقرسي التافه. كنت أعمل من أجله كالبغل. كنت أنا وسونيا نعتصر هذه الضيعة حتى آخر قطرة. كنَّا كالكولاك نتاجر في الزيت والحمص واللبن الرائب ... كنَّا لا نأكل حتى الشبع لكي نجمع من الكوبيكات آلاف الروبلات ونُرسلها إليه، وكنت أفخر به وبعلمه. كنت أعيش وأتنفس به! ... كل ما كان يكتبه أو يتفوَّه به بدَا لي عبقريًّا ... يا إلهي، والآن؟ ... ها هو قد تقاعد وأصبحت ظاهرة كل نتيجة حياته لن تبقى بعده صفحة واحدة من العمل، إنه نكرة تمامًا، لا شيء! فقاعة صابون! وأنا قد خُدِعت، وكما أرى خُدِعت بغباء ...

(يدخل أستروف في سترة بدون صديري وبدون رابطة عنق، ويبدو ثَمِلًا. يتبعه تيليجين مع الجيتار.)

أستروف: اعزف!

تيليجين: الجميع نيام!

أستروف: اعزف!

(تيليجين يداعب الأوتار بخفَّة.)

(لفوينيتسكي) أنت هنا وحدك؟ لا سيدات؟ (يضع يدَيه في خصره ويغنِّي بصوت خافت) «تحرَّك أيها البيت، تحرَّك أيها الفرن، لن يجد السيد ركنًا للنوم ...» العاصفة أيقظتني. يا لَه من مطر. كم الساعة الآن؟

فوينيتسكي: الشيطان يعلم!

أستروف: خُيِّل إليَّ أنني سمعت صوت يلينا أندرييفنا.

فوينيتسكي: كانت هنا منذ قليل.

أستروف: امرأة فخمة. (يتفحص القوارير على الطاولة) أدوية ... ما أكثر الروشتات هنا! من خاركوف، ومن موسكو، ومن تولا ... أضجر المدن كلها بنقرسه. أهو مريض أم يتمارض؟

فوينيتسكي: مريض.

(صمت.)

أستروف: ما لك اليوم حزين هكذا؟ أتراك تُشفق على الأستاذ؟

فوينيتسكي: دَعْني.

أستروف: أم ربما وقعت في غرام زوجة الأستاذ؟

فوينيتسكي: إنها صديقتي.

أستروف: لحقت؟

فوينيتسكي: ماذا تعني بـ «لحقت» هذه؟

أستروف: المرأة لا يمكن أن تُصبح صديقةً للرجل إلا حسب الترتيب التالي: أولًا زميلة، فعشيقة، ثم بعدها صديقة.

فوينيتسكي: فلسفة المبتذلين.

أستروف: ماذا؟ نعم ... ينبغي أن أعترف ... إنني أصبح مبتذلًا. أترى؟ وأيضًا سكران. عادة أسكر هكذا مرة واحدة في الشهر. وعندما أكون في هذه الحالة أُصبح وقحًا وصفيقًا إلى أقصى حدٍّ ... عندئذٍ لا أُبالي بشيء! أُقدِم على إجراء أصعب العمليات، وأُجريها على أروع ما يكون. أرسم أعرضَ الخطط للمستقبل. وعندها لا أبدو لنفسي غريبَ الأطوار، وأومِن بأنني أعود على البشرية بفائدة عظيمة ... عظيمة! وفي هذه اللحظات يصبح لديَّ نظامي الفلسفي الخاص، وتبدون لي جميعًا يا إخوتي مجردَ هوام ... ميكروبات (لتيليجين) اعزف يا وفل!

تيليجين: يا صديقي، يُسعدني أن أعزف لك من صميم قلبي، ولكن أهل البيت نيام!

أستروف: اعزف!

(تيليجين يُداعب الأوتار بخفة.)

أريد أن أشرب. هيَّا، أعتقد أنه بقيَ لدينا شيء من الكونياك. وما إن يُشرق النهار حتى نذهب إليَّ. موافق؟ (يرى سونيا داخلة) عفوًا، إنني بدون رابطة عنق (ينصرف بسرعة ويتبعه تيليجين).

سونيا: سكرت ثانية يا خالي فانيا مع الطبيب. تصادق الفارسان الصنديدان. حسنًا، الدكتور دائمًا هكذا، ولكن أنت، ما الداعي؟ ... هذا لا يناسب أبدًا شخصًا في عمرك.

فوينيتسكي: لا دخل للعمر هنا ... عندما لا توجد حياة حقيقية يعيش الناس على السراب. إنه على أيِّ حال أفضل من لا شيء.

سونيا: العشب قد حصدناه كلَّه، وكل يوم يسقط المطر فيدب العطن فيه، بينما أنت تلهو بالسراب ... أنت أهملت الأعمال تمامًا ... وأنا أعمل وحدي، خارَت قواي تمامًا. (بذعر) يا خالي، في عينَيك دموع!

فوينيتسكي: أيُّ دموع؟! ... لا شيءَ هناك ... كلام فارغ ... لقد نظرت الآن إليَّ كنظرة المرحومة أمك. يا عزيزتي ... (يقبِّل يدَيها ووجهها بنَهَم.) يا أختي ... الغالية أين هي الآن؟ ... آه لو كانت تعلم! آه لو كانت تعلم!

سونيا: ماذا؟ ... تعلم ماذا يا خالي؟

فوينيتسكي: الأمور صعبة ... سيئة ... لا شيء ... فيما بعد ... لا شيء ... سأذهب (ينصرف.)

سونيا (تدق الباب)**:** ميخائيل لفوفتش! ألست نائمًا؟ دقيقة واحدة.

أستروف (من خلف الباب)**:** حالًا (يدخل بعد قليل مرتديًا الصديري ورباط العنق.) بمَ تأمرين؟

سونيا: إذا لم يكن ذلك كريهًا، فلتشرب كما تشاء، ولكن أرجوك لا تسقِ خالي ... هذا مضرٌّ له.

أستروف: حسنًا. لن نشرب بعد.

(صمت.)

سأرحل الآن إلى داري. صدر القرار واعتُمد. إلى أن يسرجوا العربة يكون الفجر قد أشرق.

سونيا: المطر يسقط، انتظر إلى الصباح.

أستروف: العاصفة تمرُّ بعيدةً عن هنا، لا تُصيب إلا طرفَ الناحية. سأرحل. وأرجوك، لا تستدعيني بعد ذلك لفحص أبيكِ. أنا أقول له: لديك نقرس، فيقول: روماتيزم. أرجوه أن يستلقيَ لكنه يجلس. أما اليوم فلم يشأ حتي أن يتحدث معي.

سونيا: إنه مدلَّل. (تبحث في البوفيه) أتريد أن تأكل؟

أستروف: حسنًا، هاتي.

سونيا: أنا أحب الأكل ليلًا. يبدو أنه يوجد شيء ما في البوفيه. يُقال إنه كان يحظى بإقبال كبير من النساء فدلَّلنَه ... ها هي جبنة، تفضَّل.

(يقفان بجوار البوفيه ويأكلان.)

أستروف: أنا لم أَذُق الطعام اليوم، شربت فقط ... أبوكِ طباعُه صعبة. (يُخرج زجاجة من البوفيه) أتسمحين؟ (يشرب كأسًا) لا أحد هنا وبوسعي أن أُحدِّثكِ بصراحة ... أتدرين. يُخيَّل إليَّ أنني ما كنت لأبقى حيًّا في بيتكم شهرًا واحدًا، ولاختنقتُ في هذا الجو ... أبوكِ الذي غاص تمامًا في نقرسه وكُتُبه، والخال فانيا مع اكتئابه، وجدتك، وأخيرًا زوجة أبيكِ.

سونيا: ما لَها؟

أستروف: كلُّ شيء ينبغي أن يكون جميلًا في الإنسان الوجه، والثياب، والروح، والأفكار. هي جميلة، ما في ذلك شك، ولكن ... إنها فقط تأكل، وتنام، وتتريض، وتسحرنا جميعًا بجمالها ... ولا شيء أكثر. ليس لديها أيُّ التزامات، والآخرون يعملون من أجلها ... أليس كذلك؟ إن حياة الفراغ لا يمكن أن تكون طاهرة.

(صمت.)

وعلى العموم ربَّما أكون متشددًا في أحكامي، أنا غيرُ راضٍ عن حياتي، مثل خالكِ فانيا، وكلانا نُصبح متأففَين.

سونيا: وهل أنت غير راضٍ عن حياتك؟

أستروف: أنا عمومًا أحب الحياة، ولكني لا أُطيق حياتنا الإقليمية، الروسية، التافهة، وأحتقرها بكل ما في روحي من قوَّة ... أما فيما يخصُّ حياتي أنا الشخصية، فأُقسم لكِ، ليس فيها أيُّ شيء طيب. أتدرين، عندما تسير عبر الغابة في ليلة مظلمة، وإذا كان هناك ضوءٌ يلوح في الأفق، فإنك لا تشعر لا بالتعب، ولا بالعتمة، ولا بالأغصان الشائكة التي تضربك في وجهك ... إنني أعمل — وأنتِ تعرفين ذلك — كما لا يعمل أحد في الناحية، والقدر يرميني بمصائبه دون توقُّف، وأحيانًا أُعاني بصورة لا تُوصَف، غير أنه ليس لديَّ ضوءٌ في الأفق. لم أَعُد أنتظر شيئًا لنفسي، ولا أُحب الناس ... منذ وقت طويل لم أَعُد أحب أحدًا.

سونيا: لا أحد؟!

أستروف: لا أحد ... أَكِنُّ بعض المشاعر الرقيقة لمربِّيتكم فقط، من أيام زمان. الفلاحون متشابهون جدًّا ومتخلِّفون، يعيشون في القذارة ... أما المثقفون فمن الصعب التفاهم معهم. إنهم يسبِّبون لي الإرهاق. وكلهم، معارفنا الطيبون، سطحيو التفكير، سطحيو المشاعر، ولا يرون أبعد من أنوفهم، باختصار أغبياء. أما ذوو الأهمية فيهم والأكثر ذكاء فمصابون بالهستيريا، مهمومون بتحليل الذات وردود الفعل ... إنهم يتأفَّفون، ويحقدون، ويفترون على نحوٍ خطير، يقتربون من الشخص بحذر وينظرون إليه شزرًا ويُصدرون الحكم «أوَّه هذا سيكوباتي!» أو «هذا ثرثار!» وعندما لا يجدون اللافتة المناسبة لإلصاقها على جبيني يقولون «هذا شخص غريب، غريب!» إنني أُحب الغابة، وهذا غريب، ولا آكل اللحم، وهذا أيضًا غريب! لم تَعُد هناك نظرة بسيطة، صافية، حرَّة إلى الطبيعة وإلى الناس ... كلَّا ثم كلَّا! (يهمُّ بالشرب.)

سونيا (تمنعه)**:** كلَّا، أرجوك، أتوسل إليك ... لا تشرب بعد.

أستروف: ولِم؟

سونيا: هذا لا يُناسبك أبدًا! فأنت رشيق، وصوتك رقيق بل أكثر ... أنت غيرُ كلِّ مَن أعرفهم، أنت رائع، لماذا تريد إذن أن تُصبح مثل الناس العاديِّين الذين يشربون ويلعبون الورق؟ أوَّه، لا تفعل ذلك، أرجوك! أنت دائمًا تقول إنَّ الناس لا يُبدعون، بل فقط يدمِّرون ما وهبته لهم السماء. فلماذا، لماذا إذن تدمِّر نفسك؟ لا داعي، لا داعي، أتوسَّل إليك، أستحلفك.

أستروف (يمدُّ لها يده)**:** لن أشرب بعد.

سونيا: أعطني عهدًا.

أستروف: أُقسم بشرفي.

سونيا (تشدُّ على يده بقوة)**:** أشكرك!

أستروف: انتهينا! لقد أفقت. أترين، ها أنا ذا مفيق تمامًا، وسأظلُّ كذلك حتى آخر أيامي. (ينظر إلى الساعة) حسنًا، فلنواصل. أقول إنَّ زمني ولَّى، تأخرت ... هرمت، هدَّني العمل، تبذَّلت وتبلَّدت كلُّ أحاسيسي، ويبدو لم يَعُد في مقدوري أن أتعلَّق بإنسان ... أنا لا أحب أحدًا و... لن أحب ... أمَّا الشيء الذي لا يزال يشدني فهو الجمال ... لا أستطيع أن أكون لا مباليًا تجاهه. يُخيل إليَّ أنَّ يلينا أندرييفنا لو أرادت لاستطاعت أن تسلبني رشدي في يوم واحد ... ولكن ذلك لن يكون حبًّا، أو تعلقًا ... (يغطِّي عينَيه براحته وينتفض.)

سونيا: ماذا بكَ؟

أستروف: أبدًا ... في الصيام الكبير مات أحد مرضاي تحت البنج.

سونيا: آن أن تنسى ذلك.

(صمت.)

خبرني يا ميخائيل لفوفتش ... لو أنَّ عندي صديقة، أو أختًا صغرى، ولو أنك عرفت أنها ... لنفرض ... أنها تحبُّك ... فماذا كنت تفعل؟

أستروف (يهزُّ كتفَيه)**:** لا أعرف ... أعتقد لا شيء ... كنت أفهمها أنني لن أستطيع أن أُحبَّها ... ليس هذا ما يشغل بالي ... على أي حال ما دمت سأرحل فلأرحل الآن ... وداعًا يا عزيزتي، وإلا فلن ننتهيَ إلى الصباح (يشدُّ على يدها). سأمرُّ عبر غرفة الجلوس إذا سمحتِ؛ إذ أخشى أن يتشبَّث خالكِ بي (ينصرف).

سونيا (وحدها)**:** لم يَقُل لي شيئًا ... ما زالت روحُه وقلبه مغلقَين أمامي ... فلماذا إذن أشعر بنفسي سعيدة إلى هذه الدرجة؟ (تضحك من السعادة) قلت له: أنت رشيق، نبيل، وصوتك رقيق ... فهل كان ذلك غير مناسب؟ إن صوته مرتعش، يلاطف ... ها أنا ذا أحس به في الجو. ولكن عندما حدثته عن الأخت الصغرى لم يفهم ... (تعصر يدَيها) أوه! ما أفظع كوني قبيحة! ما أفظعه! أنا أعرف أنني قبيحة، أعرف، أعرف ... في الأحد الماضي، ونحن خارجون من الكنيسة، سمعتهم يتحدثون عني، وقالت إحدى النساء «إنها طيبة، كريمة، ولكنها ويا للأسف، قبيحة» قبيحة ...

(تدخل يلينا أندرييفنا.)

يلينا أندرييفنا (تفتح النافذة)**:** مرَّت العاصفة. يا لَه من هواء منعش!

(صمت.)

أين الدكتور؟

سونيا: انصرف.

(صمت.)

يلينا أندرييفنا: صوفي!

سونيا: ماذا؟

يلينا أندرييفنا: إلى متى ستظلين غاضبةً مني؟ لم تتسبب أيُّ منَّا في أذًى للأخرى ... فلماذا نتعادى؟ كفى.

سونيا: أنا نفسي أردت أن ... (تُعانقها) كفى زعلًا.

يلينا أندرييفنا: ممتاز.

(كلتاهما منفعلتان.)

سونيا: هل بابا نائم؟

يلينا أندرييفنا: كلَّا، جالس في غرفة الجلوس ... لا نتحادث بالأسابيع والله يعلم بسبب ماذا ... (ترى البوفيه مفتوحًا) ما هذا؟

سونيا: ميخائيل. لفوفتش تعشى.

يلينا أندرييفنا: ويوجد نبيذ ... هيا نشرب نخب التآخي.

سونيا: هيا.

يلينا أندرييفنا: من كأس واحدة ... (تصب) هكذا أفضل. حسنًا، أخوات؟

سونيا: أخوات.

(تشربان وتتبادلان القُبَل.)

من زمان أردت أن أتصالح معكِ، ولكني كنت أخجل ... (تبكي.)

يلينا أندرييفنا: لماذا تبكين؟

سونيا: لا شيء، هكذا.

يلينا أندرييفنا: كفاكِ ... (تبكي) يا لكِ من غريبة! جعلتني أبكي ...

(صمت.)

أنتِ غاضبة منِّي لأنني، في ظنك، تزوَّجت أباكِ عن مصلحة ... ولكن إذا كنتِ تصدقين الأيمان، فأقسم لكِ إنني تزوجته عن حب. همتُ به كعالم وشخصية شهيرة ... لم يكن حبًّا حقيقيًّا، بل مصطنعًا، ولكن بدَا لي آنذاك أنه حبٌّ حقيقي. لست مذنبة ... أما أنتِ فلم تكفِّي، منذ حفل زواجنا، عن عقابي بنظراتكِ الذكية المرتابة.

سونيا: كفى! ... تصالحنا ... لننسَ ذلك.

يلينا أندرييفنا: لا تنظري هكذا. هذا لا يناسبكِ.
يجب أن تُصدقي الجميع، وإلا استحال العيش.

(صمت.)

سونيا: خبِّريني بالحق، كصديقة ... هل أنتِ سعيدة؟

يلينا أندرييفنا: كلَّا.

سونيا: كنت أعرف ذلك ... سؤال آخر. خبِّريني بصراحة ... أترغبين في أن يكون لديكِ زوجٌ شابٌّ؟

يلينا أندرييفنا: يا لكِ من فتاة صغيرة بعد. طبعًا أرغب! (تضحك) حسنًا، اسألي أيضًا، اسألي.

سونيا: هل يعجبكِ الدكتور؟

يلينا أندرييفنا: نعم، جدًّا.

سونيا (تضحك)**:** وجهي أحمق ... أليس كذلك؟ ها هو قد مضى وما زلتُ أسمع صوته وخطواته، وأنظر إلى النافذة المظلمة فأتخيَّل وجهه هناك. دعيني أُفصح ... ولكني لا أستطيع أن أتحدث هكذا علانية، أشعر بالخجل ... فلنذهب إلى غرفتي ونتحدث هناك ... هل أبدو لك حمقاء؟ ... اعترفي ... قولي لي عنه أي شيء ...

يلينا أندرييفنا: وماذا أقول؟

سونيا: إنه ذكي ... إنه يُجيد كل شيء ... يقدر على كل شيء ... إنه يعالج، ويغرس الغابات.

يلينا أندرييفنا: ليست القضية في الغابات أو في الطب ... لتفهمي يا عزيزتي، إنه موهبة! فهل تعرفين ماذا تعني الموهبة؟ الجرأة، العقل الحر، السعة والشمول ... إنه يغرس الشجرة ويخمِّن

ما الذي سينتج عن ذلك بعد ألف سنة، وتلوح لعينَيه سعادة البشرية القادمة. أمثال هؤلاء الأشخاص نادرون وينبغي أن نحبَّهم ... إنه يشرب، ويتصرف أحيانًا بخشونة، فأي بأس في ذلك؟ الإنسان الموهوب في روسيا لا يمكن أن يكون طاهرَ الذيل ... هلَّا فكرت في الحياة التي يحياها هذا الدكتور! الأوحال الكثيفة في الطرقات، والزمهرير والعواصف الثلجية، والمسافات الهائلة، والناس الأفظاظ، المتوحشون، والفقر والأمراض في كل مكان، وفي مثل هذا الوضع فمن الصعب على مَن يعمل ويصارع يومًا بعد يوم أن يحافظ على نفسه طاهرًا ومفيقًا حتى الأربعين ... (تُقبِّلها) من كل قلبي أتمنى لكِ السعادة أنتِ جديرة بها ... (تنهض) أما أنا فشخصية ثقيلة الدم، ثانوية ... في الموسيقى، وفي منزل زوجي، وفي جميع المغامرات، أي باختصار في كل مكان لم أكن سوى شخصية ثانوية ... في الواقع يا سونيا، إذا أمعنا النظر، أنا تعيسة جدًّا، جدًّا! (تخطو على الخشبة في انفعال) لن أجد السعادة في هذه الدنيا. كلَّا! ما لكِ تضحكين؟

سونيا (تضحك، تغطي وجهها)**:** كم أنا سعيدة ... سعيدة!

يلينا أندرييفنا: أريد أن أعزف ... بوسعي أن أعزف الآن شيئًا ما.

سونيا: اعزفي. (تعانقها) أنا لا أستطيع أن أنام ... اعزفي!

يلينا أندرييفنا: حالًا. أبوكِ مستيقظ. عندما يكون مريضًا تُزعجه الموسيقى. اذهبي واسأليه. إذا لم يمانع فسأعزف. اذهبي.

سونيا: حالًا. (تنصرف.)

(الحارس يدق في البستان.)

يلينا أندرييفنا: لم أعزف منذ زمن طويل ... سأعزف وأبكي ... سأبكي كحمقاء (في النافذة) أهو أنت الذي يدقُّ يا يفيم؟

صوت الحارس: أنا!

يلينا أندرييفنا: لا تدق، السيد مريض.

صوت الحارس: سأنصرف حالًا! (يصفر مناديًا الكلاب) يا جوتشكا! يا مالتشيك! يا جوتشكا!

(صمت.)

سونيا (تعود)**:** ممنوع!

(ستار)

---

[١] قسطنطين باتوشكوف (١٧٨٧–١٨٥٥م): شاعر رومانسي. (المعرب)

[٢] يلينا (بالفرنسية في الأصل).

الفصل الثالث

(غرفة الجلوس في منزل سيريبرياكوف. ثلاثة أبواب: إلى اليمين وإلى اليسار وفي الوسط. الوقت نهار. فوينيتسكي وسونيا جالسان، ويلينا أندرييفنا تذرع الخشبة وهي تفكر في شيء ما.)

فوينيتسكي: تفضَّل الهر بروفيسور بإبداء رغبته في أن نجتمع كلنا اليوم في هذه الغرفة في الساعة الواحدة. (يتطلَّع إلى الساعة) الواحدة إلا ربعًا. يريد أن يطلع العالم على شيء ما.

يلينا أندرييفنا: في الغالب يريدكم لعمل ما.

فوينيتسكي: ليس لديَّ أيُّ أعمال. يكتب هراء، يتأفف ويغار ولا شيء أكثر.

سونيا (بنبرة لوم)**:** يا خالي!

فوينيتسكي: حسنًا، آسف، آسف. (يشير إلى يلينا أندرييفنا) تفضَّلوا، انظروا إليها، تترنَّح من الكسل. جميل جدًّا! جدًّا!

يلينا أندرييفنا: طول النهار تطنُّ وتطنُّ، ألَا تملُّ ذلك! (بأسَى) أكاد أموت من الملل، ولا أعرف ماذا عليَّ أن أفعل.

سونيا (تهزُّ كتفَيها)**:** وهل الأعمال قليلة؟ لو فقط تشائين.

يلينا أندرييفنا: مثلًا؟

سونيا: زاولي الشئون المنزلية ... علِّمي، عالجي. الأعمال كثيرة. قبل أن تأتيَ مع بابا إلى هنا كنَّا أنا وخالي فانيا نذهب إلى السوق ونبيع الطحين.

يلينا أندرييفنا: لا أُجيد ذلك. ثم إنه غير شيِّق ... في الروايات المثالية فقط يُعلمون الفلاحين ويعالجونهم، فكيف أذهب أنا فجأة، هكذا دون مقدِّمات، وآخذ في تعليمهم ومعالجتهم؟

سونيا: أما أنا فلا أفهم كيف لا نذهب إليهم ولا نُعلمهم. مهلًا، أنتِ أيضًا ستتعودين. (تُعانقها) لا تضجري يا حبيبتي. (تضحك) أنتِ تضجرين ولا تعرفين ماذا تفعلين، بينما الضجر والفراغ

مُعديان. انظري، ها هو خالي فانيا لا يفعل شيئًا، اللهم إلا أن يسير خلفك كظلِّك، وأنا تركت أعمالي وهرعتُ إليكِ لأتحدَّث معكِ. أوَّه، كم أصبحت كسولة! في السابق كان الدكتور ميخائيل لفوفتش لا يزورنا إلا نادرًا جدًّا، مرَّة في الشهر، وكان من الصعب استمالته، أما الآن فيأتي كل يوم، وأهمل غاباتِه وطبَّه. يبدو أنكِ ساحرة.

فوينيتسكي: لماذا الضنى؟ (بحيوية) هيَّا أيتها الغالية، أيتها النفيسة، كوني عاقلة! في عروقكِ تجري دماء جنية البحر، فلتكوني جنيةَ بحر! أطلقي لحريَّتِك العنان ولو مرَّة في العمر، اغرقي في حب أحد ساكني مملكة البحر بسرعة، واقفزي في الغدير وغوصي قبل أن يتمكَّن الهر بروفيسور ومعه نحن كلنا من إبداء دهشتنا!

يلينا أندرييفنا (بغضب)**:** دَعْني وشأني ... يا للقسوة! (تهمُّ بالذهاب.)

فوينيتسكي (يعترض سبيلها)**:** طيب، طيب، يا حياتي، سامحيني ... أعتذر. (يقبِّل يدها) سماح.

يلينا أندرييفنا: حتى الملائكة ينفد صبرُها، صدقني.

فوينيتسكي: رمزًا للسلام والوفاق سآتيك الآن بباقة ورد. منذ الصباح أعددتها لكِ ... ورود الخريف ساحرة ... ورود حزينة.

(ينصرف.)

سونيا: ورود الخريف ساحرة ... ورود حزينة ...

(كلتاهما تتطلعان من النافذة.)

يلينا أندرييفنا: ها هو سبتمبر قد جاء ... يا ترى ... كيف سنُمضي الشتاء هنا!

(صمت.)

أين الدكتور؟

سونيا: في غرفة خالي فانيا. يكتب شيئًا ما. أنا سعيدة أنَّ خالي فانيا ذهب، أريد أن أتحدَّث معكِ.

يلينا أندرييفنا: عمَّ؟

سونيا: عمَّ؟! (تضع رأسها على صدرها.)

يلينا أندرييفنا: حسنًا كفى، كفى ... (تُمسِّد شعرها) كفى.

سونيا: أنا قبيحة.

يلينا أندرييفنا: لديكِ شعر رائع.

سونيا: كلَّا! (تُدير رأسها لتتطلع إلى نفسها في المرآة) كلَّا! عندما تكون المرأة قبيحة يقولون لها: «لديكِ عينان رائعتان، لديكِ شعر رائع.» أنا أحبه منذ ست سنوات، أحبه أكثر من حبي لأمي. في كل لحظة أسمعه، أحسُّ بمصافحة يده، وأنظر إلى الباب منتظرة، ويخيِّل إليَّ أنه سيدخل الآن. وها أنا ذا، كما ترَين، آتي إليكِ دائمًا لأتحدَّث عنه. إنه الآن يزورنا كل يوم، لكنه لا ينظر إليَّ، لا يراني ... يا لَه من عذاب! ليس لديَّ أيُّ أمل، أبدًا، أبدًا! (في يأس) يا إلهي ... هَبْني القوة ... ظللت أصلِّي طوال الليل ... كثيرًا ما أقترب منه، وأبدأ في الحديث معه، وأحدِّق في عينيه ... أصبحت أدوس على كرامتي، ولا حول بي للسيطرة على نفسي ... بالأمس لم أُسيطر على نفسي واعترفت لخالي فانيا بحبِّي ... الخدم كلهم يعرفون أنني أُحبُّه. الجميع يعرفون.

يلينا أندرييفنا: وهو؟

سونيا: كلَّا، إنه لا يحس بوجودي.

يلينا أندرييفنا (بتفكير)**:** إنه شخص غريب ... اسمعي. دعيني أتحدَّث معه ... بحذر، تلميحًا ...

(صمت.)

بالفعل، إلى متى تظلِّين في المجهول ... اسمحي لي!

(سونيا تهزُّ رأسها موافقة.)

رائع! ليس من الصعب معرفة إن كان يحب أم لا. لا تخجلي يا صغيرتي، اطمئني، سأسأله بحذر، ولن يلحظ. كل ما نريد أن نعرفه نعم أم لا!

(صمت.)

فإذا كان لا، فلا داعي لمجيئه إلى هنا، هكذا؟

(سونيا تهزُّ رأسها موافقة.)

من الأسهل التحمل عندما لا ترينه. لن نؤجل الأمر طويلًا، سنسأله حالًا. لقد كان ينوي أن يُطلعَني على بعض الرسومات الهندسية ... اذهبي وخبِّريه بأنني أريد أن أراه.

سونيا (في انفعال شديد)**:** ستُخبرينني بالحقيقة؟

يلينا أندرييفنا: نعم، بالطبع ... أعتقد أنَّ الحقيقة، مهما كانت، ليست مع ذلك فظيعة كالمجهول. اعتمدي عليَّ يا صغيرتي.

سونيا: نعم، نعم ... سأقول له إنك تريدين رؤية الرسوم. (تذهب ثم تتوقف عن الباب) كلَّا، المجهول أفضل ... فيه أمل على الأقل.

يلينا أندرييفنا: ماذا بكِ؟

سونيا: لا شيء. (تنصرف.)

يلينا أندرييفنا (وحدها)**:** ليس هناك ما هو أسوأ من أن تعرف سرَّ الآخرين دون أن تستطيع مساعدتهم. (متفكرة) إنه لا يحبُّها، هذا واضح، ولكن لماذا لا يتزوجها؟ إنها ليست جميلة، ولكن لطبيب ريفي، وفي مثل سنِّه، قد تكون زوجةً رائعة. ذكية، طيِّبة، نقية ... كلَّا، ليس الأمر كذلك، ليس كذلك.

(صمت.)

إنني أفهم هذه البنيَّة المسكينة ... فوسط هذا الضجر الفظيع، عندما تهوِّم بدلًا من الناس بُقع ما رمادية، ولا يسمع غير العبارات المبتذلة، ولا يعرف الناس شيئًا سوى أن يأكلوا، ويشربوا، ويناموا، يأتي هو أحيانًا، لا يُشبه الآخرين في شيء، جميلًا، شيقًا، جذابًا، فكأنما أشرق البدر الساطع وسط الظلام ... من هنا الرغبة في الانجذاب إلى شخص كهذا، ونسيان كل شيء ... يبدو أنني أنا أيضًا أُغرمت به قليلًا. نعم إنني أشعر بالضجر بدونه، وها أنا ذا أبتسم عندما أفكر فيه ... هذا الخال فانيا يدَّعي أن في عروقي تجري دماء جنية البحر ... «أطلقي لحريتك العنان ولو مرَّة في العمر» ... وماذا؟ ربما كان ذلك هو المطلوب ... أنا أطير كطائر طليق بعيدًا عنكم جميعًا، بعيدًا عن سحناتكم النعسانة، عن أحاديثكم، أن أنسى أنكم موجودون في الدنيا ... لكني جبانة، خجول ... سيعذبني ضميري ... ها هو يأتي إلى هنا كل يوم، وأنا أخمِّن لماذا يأتي، فأصبحت أشعر بالذنب، ومستعدَّة أن أركع أمام سونيا، وأسألها الصفح، وأبكي.

أستروف (يدخل ومعه رسومات)**:** نهاركِ سعيد! (يصافحها) هل أردتِ أن تشاهدي تصاويري؟

يلينا أندرييفنا: بالأمس وعدتني أن تُطلعني على أعمالك ... هل لديك وقت؟

أستروف: أوَّه، بالطبع. (يفرش الخريطة على طاولة لعب الورق ويُثبتها بالدبابيس) أين ولدت؟

يلينا أندرييفنا (وهي تُساعده)**:** في بطرسبرج.

أستروف: وأين تعلمتِ؟

يلينا أندرييفنا: في الكونسرفتوار.

أستروف: في الغالب لن يكون هذا ممتعًا لكِ.

يلينا أندرييفنا: ولِم لا؟ صحيح أنا لا أعرف الريف، ولكني قرأت عنه الكثير.

أستروف: في هذا المنزل توجد طاولة لي ... في غرفة إيفان بتروفتش. عندما يهدُّني التعب تمامًا، إلى درجة التبلد الكامل، أهجر كلَّ شيء وأركض إلى هنا، وأتسلَّى بهذه اللعبة بضع ساعات ... إيفان بتروفتش وصوفيا ألكسندروفنا يُدحرجان بكرات العداد الخشبي، وأجلس أنا بجوارهما خلف طاولتي وألون ... فأشعر بالدفء، والسكينة، وصرَّار الليل يئزُّ. ولكني لا أسمح لنفسي بهذه المتعة كثيرًا، مرَّة في الشهر ... (يشير إلى الخريطة) والآن فلتنظري هنا. هذه صورة إقليمنا كما كان منذ ٥٠ عامًا. اللون الأخضر القاتم والفاتح يعني الغابات. نصف المساحة الكلية مغطاة بالغابات. والمربعات الحمراء الصغيرة داخل اللون الأخضر تُشير إلى أماكن تواجد الوعول والماعز ... إنني أبين هنا العالم النباتي والحيواني. وفي هذه البحيرة كان يعيش البجع والإوز والبط، وكما يقول العجائز، كان الطير هنا لا أول له ولا آخر، كان يطير كالغمام. وكما ترَين، بالإضافة إلى القرى والضياع تتناثر هنا وهناك الدور والبيوت المنفردة وصوامع طائفة المنشقِّين، وطواحين الماء ... كانت الماشية والخيول كثيرة. يبدو ذلك من اللون الأزرق. مثلًا، في هذه المحافظة ترَين اللون الأزرق سميكًا؛ إذ كانت هنا قطعان كبيرة من الخيول، وكان متوسط عدد الخيول في كل منزل ثلاثة.

(صمت.)

فلننظر الآن أسفل قليلًا. هذا ما كان منذ ٢٥ عامًا. لم تَعُد الغابات تُغطي سوى ثلث المساحة. الماعز اختفى ولكن الوعول ما زالت موجودة. اللون الأخضر والأزرق أصبحَا خفيفَين، وهلمَّ جرًّا ... فلننتقل إلى القسم الثالث صورة الإقليم الراهنة. اللون الأخضر متناثر هنا وهناك على

شكل بُقع، وليس متصلًا. اختفَت الوعول والبجع ودجاج الغابة ... ولم يبقَ أثرٌ للدور والبيوت المتناثرة وصوامع المنشقين، وطواحين الماء. باختصار، ترَين صورة للانحلال التدريجي المؤكد، الذي لم يبقَ أمامه في الغالب سوى ١٠–١٥ سنة ليُصبح تامًّا. ستقولين إنَّ ذلك من تأثير الحضارة، وإنَّ الحياة القديمة من الطبيعي أن تتخلَّى عن مكانها للجديدة. نعم، إنني أُدرك أنه لو مدَّت في مكان هذه الغابات المبادة طرق السيارات والسكك الحديدية، ولو قامت هنا المصانع والفبارك والمدارس، لأصبح الشعبُ أصحَّ وأغنى وأذكى، ولكنَّ شيئًا من ذلك لم يحدث! في الإقليم نفس المستنقعات القديمة، والبعوض، انعدام الطرق، والفقر، والتيفوس والدفتيريا، والحرائق ... إننا أمام انحلال نتيجة الصراع القاسي من أجل الوجود، انحلال بسبب التخلف والجهل، بسبب الغياب التام للوعي الذاتي، عندما ينقضُّ الإنسان المقرور، الجائع، المريض، في محاولة منه لإنقاذ بقية حياته، ولحماية أبنائه، بصورة غريزية، لا واعية على كل ما يمكن أن يسدَّ رمقه ويُدفئ بدنه، فيقضي على كل شيء دون أن يفكِّر في الغد ... لقد قضى على كل شيء تقريبًا، ولكن لم يخلق أي شيء بديل. (ببرود) أرى في وجهكِ أنَّ هذا لا يُثير اهتمامكِ.

يلينا أندرييفنا: ولكنِّي لا أفهم في هذا كثيرًا.

أستروف: ليس هنا ما يستعصي على الفهم، أنتِ ببساطة لا تهتمِّين.

يلينا أندرييفنا: بصراحة فكري مشغول بشيء آخر. اعذرني. أريد أن أُجريَ معك استجوابًا صغيرًا، ولكني محرجة، ولا أعرف كيف أبدأ.

أستروف: استجواب؟

يلينا أندرييفنا: نعم، استجواب، ولكن ... بريء جدًّا. لنجلس!

(يجلسان.)

المسألة تتعلق بإحدى الآنسات. سنتحدث كأناس شرفاء، كأصدقاء، دون لفٍّ ودوران ... سنتحدث ثم ننسى الأمر. حسنًا؟

أستروف: حسنًا.

يلينا أندرييفنا: المسألة تتعلق بابنة زوجي، سونيا. هل تُعجبك؟

أستروف: نعم، إنني أحترمها.

يلينا أندرييفنا: هل تُعجبك كامرأة؟

أستروف (بعد برهة)**:** كلَّا.

يلينا أندرييفنا: بضع كلمات أخرى وننتهي. ألم تلاحظ شيئًا؟

أستروف: كلَّا.

يلينا أندرييفنا (تُمسك يده)**:** أنت لا تحبُّها، أرى ذلك في عينَيك ... إنها تعاني ... فلتفهم هذا و... كُفَّ عن المجيء إلى هنا.

أستروف (ناهضًا)**:** زماني قد ولَّى ... كما أني مشغول ... (يهزُّ كتفَيه) لا وقتَ لديَّ. (يبدو عليه الارتباك.)

يلينا أندرييفنا: أف، يا لَه من حديث كريه! أشعر بالاضطراب، وكأني حملت على ظهري ألف بود. الحمد لله انتهينا. فلننسَ ذلك كأنما لم يكن و... وارحل عن هنا. أنت رجل ذكي، تفهم.

(صمت.)

وجهي قد احمرَّ تمامًا.

أستروف: لو قلتِ لي قبل شهر أو شهرين لربما فكرت قليلًا، أما الآن ... (يهزُّ كتفَيه) وإذا كانت تُعاني فبالطبع ... الشيء الوحيد الذي لا أفهمه هو: ما حاجتكِ إلى هذا الاستجواب؟ (يُحدِّق في عينَيها ويُهددها بإصبعه) أنتِ ماكرة!

يلينا أندرييفنا: ما معنى هذا؟

أستروف (ضاحكًا)**:** ماكرة! ... لنفرض أن سونيا تُعاني، مستعد لتصديقكِ عن طيب خاطر، ولكن ما معنى استجوابكِ هذا؟ (يحول بينها وبين الكلام، يقول بحماس) أرجوكِ، لا ترسمي الدهشة على وجهكِ، فأنتِ تعرفين جيدًا لماذا آتي إلى هنا كل يوم ... أنتِ تعرفين حقَّ المعرفة ولأجل مَن آتي إلى هنا ... أيتها المتوحشة اللطيفة، لا تنظري إليَّ هكذا، فأنا غراب عجوز.

يلينا أندرييفنا (باستغراب)**:** متوحشة؟ لا أفهم شيئًا.

أستروف: نمسة جميلة ناعمة ... أنتِ بحاجة إلى ضحايا! ها أنا ذا طوال شهر كامل لا أعمل شيئًا، هجرت كل شيء، وأبحث عنكِ بنهمٍ ... وهذا يُعجبكِ جدًّا، جدًّا ... فماذا بعد؟ إنني

مهزوم، وكنتِ تعرفين ذلك حتى قبل الاستجواب. (يعقد ذراعَيه على صدره ويُنكس رأسه) سمعًا وطاعة ... خذي، كليني!

يلينا أندرييفنا: لقد جننت!

أستروف (يضحك من بين أسنانه)**:** أنتِ خجول ...

يلينا أندرييفنا: أوه ... أنا أفضل وأسمَى مما تظن! أُقسم لك! (تهمُّ بالانصراف.)

أستروف (يعترض سبيلها)**:** سأرحل اليوم، ولن آتيَ إلى هنا، ولكن ... (يُمسك يدَها ويتلفت حوله) أين سنلتقي؟ قولي بسرعة: أين قد يدخل أحدهم إلى هنا، قولي بسرعة ... (بشهوة) كم أنت رائعة! فاخرة ... قبلة واحدة ... أُقبِّل فقط شعركِ العطر.

يلينا أندرييفنا: أقسم لك.

أستروف (يعوقها عن الكلام)**:** لماذا القسم؟ لا داعي للقسم. لا داعي لمزيد من الكلمات ... أوَّه، يا لكِ من جميلة! يا لهما من يدَين! (يُقبِّل يدَيها.)

يلينا أندرييفنا: كفاك هذا ... اخرج (تسحب يدَيها) لقد تماديت.

أستروف: قولي، قولي إذن، متى سنلتقي غدًا؟ (يطوِّق خصرها) هذا محتم كما ترَين، لا بد أن نلتقيَ. (يُقبِّلها. في هذه الأثناء يدخل فوينيتسكي بباقة ورود فيقف عند الباب.)

يلينا أندرييفنا (لا ترى فوينيتسكي)**:** ارحمني ... دَعْني ... (تضع رأسها على صدر أستروف) كلَّا! (تهمُّ بالانصراف.)

أستروف (يتشبَّث بخصرها)**:** تعالَي غدًا إلى الغابة ... في حوالي الثانية ... حسنًا؟ ستأتين؟

يلينا أندرييفنا (ترى فوينيتسكي)**:** دَعْني! (تبتعد نحو النافذة في حرج شديد) هذا فظيع.

فوينيتسكي (يضع الباقة على الكرسي. ينتابه الانفعال فيمسح وجهه وخلف الياقة بالمنديل)**:** لا بأس ... نعم ... لا بأس.

أستروف (باستفزاز)**:** الطقس اليوم لا بأس به يا إيفان بتروفتش المبجل. في الصباح كان الجو غائمًا، كأنما على وشَك أن يُمطر، أمَّا الآن فالشمس ساطعة. وإذا شئت الصراحة فهذا الخريف

رائع ... والمحصول لا بأس به. (يطوي الخريطة على شكل أسطوانة) لا عيب سوى شيء واحد. الأيام أصبحت قصيرة (ينصرف).

يلينا أندرييفنا (تقترب من فوينيتسكي بسرعة)**:** فلتحاول، فلتستخدم كل نفوذك لكي أرحل مع زوجي من هنا اليوم بلا إبطاء! أتسمع؟ ... اليوم بلا إبطاء!

فوينيتسكي (يمسح وجهه)**:** هه؟ آه، نعم ... حسنًا ... لقد رأيت يا Hélène! كل شيء ... كل شيء.

يلينا أندرييفنا (بعصبية)**:** أتسمع؟ ... ينبغي أن أرحل من هنا اليوم بلا إبطاء!

(يدخل سيريبرياكوف، وسونيا، وتيليجين، ومارينا.)

تيليجين: أنا نفسي يا صاحب المعالي لستُ على ما يرام ... لليوم الثاني أشعر بالمرض ... رأسي مصدع.

سيريبرياكوف: أين الآخرون؟ ... لا أحب هذا البيت ... مثل قصر التيه. ست وعشرون غرفة ضخمة، يتناثرون فيها فلا تستطيع أن تجد منهم أحدًا. (يدق الجرس) ادعوا إلى هنا مارينا فاسيليفنا، ويلينا أندرييفنا!

يلينا أندرييفنا: أنا هنا.

سيريبرياكوف: أرجو أن تجلسوا يا سادة.

سونيا (تقترب من يلينا أندرييفنا، تسأل بلهفة)**:** ماذا قال؟

يلينا أندرييفنا: فيما بعد.

سونيا: أنتِ ترتعشين؟ ... أنتِ منفعلة؟ (تحدِّق في وجهها بتمعن) مفهوم ... قال إنه لن يأتيَ إلى هنا بعد ... نعم؟

(صمت.)

قولي نعم؟

(يلينا أندرييفنا تهزُّ رأسها بالإيجاب.)

سيريبرياكوف (لتيليجين)**:** يمكن للإنسان أن يتغاضى عن المرض، لا بأس، لكن ما لا أقدر على هضمه فهو نظام الحياة الريفية. عندي إحساس بأنني هويت من الأرض على سطح كوكب آخر. اجلسوا يا سادة، أرجوكم. سونيا!

(سونيا لا تسمعه، تقف وقد نكَّست رأسها بحزن.)

سونيا!

(صمت.)

لا تسمع. (لمارينا) وأنتِ أيضًا اجلسي يا دادة.

(المربِّية تجلس وتحوك جوربًا.)

أرجوكم يا سادة. علِّقوا، كما يقال، آذانكم على مسمار الانتباه. (يضحك.)

فوينيتسكي (بانفعال)**:** ربَّما لا حاجة إليَّ؟ يمكنني أن أذهب؟

سيريبرياكوف: كلَّا، نحن بحاجة إليك أكثر من الجميع.

فوينيتسكي: وما الذي تريدونه مني؟

سيريبرياكوف: لماذا تبدو غاضبًا هكذا؟

(صمت.)

إذا كنتُ مخطئًا في حقك أرجوك المعذرة.

فوينيتسكي: دعك من هذه اللهجة. فلندخل إلى الموضوع ... ما الذي تريده؟

(تدخل مارينا فاسيليفنا.)

سيريبرياكوف: ها قد جاءت maman. إنني أبدأ يا سادة.

(صمت.)

لقد دعوتكم أيُّها السادة لكي أُبلغَكم بأن مفتشًا سيأتي إلينا.[1] لكن دعونا من المزاح. القضية جدية. لقد جمعتكم يا سادة لكي أطلب منكم العون والمشورة، ولما كنت على علم بكرمكم الدائم

فإنني أطمع في الحصول عليهما ... أنا رجل عالم، أعيش مع الكتب وكنت دائمًا بعيدًا عن الحياة العملية. ولا أستطيع أن أتصرف بدون تعليمات من الخبراء بالأمور؛ ولذا أرجوك يا إيفان بتروفتش، وأنتِ يا إيليا إيليتش، وأنتِ يا maman ... فالمسألة أن manet omnesuna nox،[٢] أي أن أعمارنا جميعًا بيد الله. فأنا عجوز، مريض؛ ولذلك أجد أنه قد حان الوقت لكي أنظِّم شئون الملكية الخاصة بي لأنها تتعلق بأسرتي ... أنا حياتي انتهت، ولا أفكر في نفسي، ولكن عندي زوجة شابة وابنة آنسة.

(صمت.)

يستحيل عليَّ مواصلة الحياة في الريف. نحن لسنا مخلوقين للعيش في الريف. أما الحياة في المدينة على الموارد التي نحصل عليها من هذه الضيعة فمستحيلة. فإذا بِعْنا الغابة مثلًا، فسيكون ذلك إجراءً استثنائيًّا، لا يمكن اللجوء إليه كل عام ... لا بدَّ من البحث عن إجراءات تكفل لنا دخلًا دائمًا، محدَّدًا بهذه الدرجة أو تلك ... وقد توصَّلت إلى إجراء كهذا وأتشرَّف بعرضه عليكم لمناقشته. سأشرحه لكم في الخطوط العامة، دون الخوض في التفاصيل. ضيعتُنا لا تُعطينا في المتوسط أكثر من نسبة ٢٪. أقترح بيعها. فإذا حوَّلنا النقود المتحصل عليها من البيع إلى أسهم، فسنحصل على فائدة بنسبة من أربعة إلى خمسة في المائة، بل وأعتقد أنه سيتبقَّى مبلغ إضافي يبلغ بضعة آلاف، يُتيح لنا أن نشتريَ بيتًا صيفيًّا في فنلندة.

فوينيتسكي: مهلًا ... أظن أن سمعي خدعني ... أَعِد ما قلته.

سيريبرياكوف: تحول النقود إلى أسهم، وبما يتبقى من المبلغ نشتري بيتًا صيفيًّا في فنلندة.

فوينيتسكي: ليس فنلندة ... لقد قلت أيضًا شيئًا آخر ...

سيريبرياكوف: إنني أقترح بيعَ الضَّيعة.

فوينيتسكي: بالضبط هو هذا تبيع الضَّيعة، ممتاز، فكرة عظيمة ... وإلى أين تأمر بإرسالي أنا وأمي العجوز وسونيا؟

سيريبرياكوف: سنناقش كلَّ هذا في وقته. ليس كل شيء مرة واحدة.

فوينيتسكي: مهلًا ... يبدو أنني حتى الآن لم أتمتَّع بأي تفكير راجح. حتى الآن كنت أظن بغبائي أن هذه الضيعة ملك لسونيا ... اشترى المرحوم أبي هذه الضيعة لتكون بائنةً لأختي.

الآن كنت ساذجًا، كنت أفهم القوانين ليس على الطريقة التركية، فظننت أن الضيعة انتقلت من أختي إلى سونيا.

سيريبرياكوف: نعم الضيعة ملك لسونيا. مَن يُنكر؟ ولن أُقدِم على بيعها بدون موافقة سونيا. وعلاوة على ذلك فأنا أتقدَّم بهذا الاقتراح من أجل مصلحة سونيا.

فوينيتسكي: هذا غير معقول، غير معقول، إما أنني جننت، وإما ... وإما ...

ماريا فاسيليفنا: لا تعارض ألكسندر يا جان. ثِق أنه يعرف أفضل منَّا ما هو الطيب وما هو السيِّئ.

فوينيتسكي: كلَّا ... أعطوني ماء. (يشرب ماء) قولوا ما تشاءون، ما تشاءون!

سيريبرياكوف: لا أدري ما يُزعجك. أنا لا أدَّعي أن مشروعي مثالي. إذا اعتبره الجميع غير ملائم فلن أُصرَّ عليه.

(صمت.)

تيليجين (مرتبكًا)**:** إنني يا صحاب المعالي، أُكنُّ للعلم لا مشاعر التبجيل فحسب. بل ومشاعر القرابة. أخو زوجة شقيقي جريجوري إيليتش، ربما تعرفونه، قسطنطين تروفيموفتش لا كيديمونوف، كان ماجستيرًا.

فوينيتسكي: مهلًا يا وفل، إننا نتحدث في مسألة جدية ... انتظر، فيما بعد ... (لسيريبريا كوف) ها هو أمامك، فلتسأله. هذه الضيعة تم شراؤها من عمِّه.

سيريبرياكوف: آه، وما حاجتي لسؤاله؟ ما الداعي؟

فوينيتسكي: تم شراء هذه الضَّيعة في ذلك الحين بمبلغ خمسة وتسعين ألف روبل. ولم يدفع أبي سوى سبعين ألفًا ... وبقيَ دَينٌ بخمسة وعشرين ألفًا ... فلتسمعوا إذن ... لو لم أتخلَّ عن نصيبي من الميراث لصالح أختي التي أحببتُها بحرارة، لمَا أمكن شراء هذه الضيعة. إنني عملت عشر سنوات كالبغل! حتى سددت هذا الدينَ كلَّه.

سيريبرياكوف: إنني آسف على إثارتي لهذا الموضوع.

فوينيتسكي: الضيعة ليست مدينةً ولم تتدهور أمورها فقط بفضل مجهوداتي الشخصية. وعندما أصبحت عجوزًا يريدون طردي من هنا شرَّ طردة!

سيريبرياكوف: لا أفهم ماذا تبغي!

فوينيتسكي: خمسة وعشرون عامًا وأنا أُدير هذه الضيعة، وأعمل، وأرسل لك النقود، كخولي أمين، وطوال هذه المدة لم تشكرني مرة واحدة. طوال الوقت — في شبابي والآن — كنت أتقاضى منك راتبًا خمسمائة روبل في العام ... مبلغ تافه! ولم يخطر ببالك أبدًا أن تزيد مرتبي ولو روبلًا!

سيريبرياكوف: ومن أين لي أن أعرف يا إيفان بترفتش؟ أنا لست رجلًا عمليًّا ولا أفهم شيئًا. كان بوسعك أن تزيد مرتبك كما يحلو لك.

فوينيتسكي: لماذا لم أسرق؟ لماذا لا تحتقرونني كلكم لأنني لم أسرق؟ إذن لكان عدلًا منكم، ولما كنت الآن شحَّاذًا!

ماريا فاسيليفنا (بصرامة)**:** جان!

تيليجين (منفعلًا)**:** فانيا، يا صديقي، لا داعي، لا داعي ... إنني أرتعش ... لماذا تفسد العلاقة الطيبة؟ (يقبِّله) لا داعي.

فوينيتسكي: خمسة وعشرون عامًا وأنا محبوس مع هذه الأم، بين أربعة جدران، كحيوان الخُلْد في جحره ... كل أفكارنا ومشاعرنا كانت لك وحدك. في النهار كنَّا نتحدث عنك، عن أعمالك، ونفخر بك، ونذكر اسمك بالتبجيل، ونبدِّد الليالي في قراءة المجلات والكتب، التي أحتقرها الآن من أعماق قلبي!

تيليجين: لا داعي يا فانيا ... لا داعي ... أنا لا أحتمل.

سيريبرياكوف (بغضب)**:** لا أفهم ماذا تريد؟

فوينيتسكي: كنت بالنسبة لنا مخلوقًا ساميًا، ومقالاتك كنَّا نحفظها عن ظهر قلب ... أما الآن فقد فتحت عيني! أرى كل شيء! تكتب عن الفنِّ دون أن تفهمَ شيئًا في الفن! كل أعمالك، التي أحببتها لا تساوي خردة! أنت خدعتنا!

سيريبرياكوف: يا سادة! أسكتوه أرجوكم! إنني ذاهب!

يلينا أندرييفنا: إيفان بتروفتش، أُطالبك بالسكوت! أتسمع؟

فوينيتسكي: لن أسكت! (يسدُّ الطريق على سيريبرياكوف) قِف، أنا لم أفرغ! أنت دمرت حياتي! أنا لم أَعِش، لم أَعِش! بسببك أهدرت أفضل سنوات عمري، بددتها! أنت عدوي اللدود!

تيليجين: لا أستطيع، لا أستطيع ... سأذهب ... (يخرج في انفعال شديد.)

سيريبرياكوف: ماذا تريد منِّي؟ ... وبأيِّ حقٍّ تخاطبني بهذه اللهجة؟ أيها التافه! إذا كانت الضيعة لك فخذها، لست محتاجًا إليها!

يلينا أندرييفنا: سأرحل فورًا من هذا الجحيم! (تصرخ) لا أستطيع أن أحتمل أكثر!

فوينيتسكي: ضاعت حياتي! إنني موهوب، ذكي، شجاع ... لو عشت حياة طبيعية لربما أصبحت مثل شوبنهاور أو دوستويفسكي ... يا إلهي، ماذا أقول! إنني أُجن ... أُمَّاه يا للضياع! أُمَّاه!

ماريا فاسيليفنا (بصرامة)**:** اسمع كلام ألكسندر!

سونيا (تجثو أمام المربية على ركبتَيها وتلتصق بها)**:** يا دادة! يا دادة!

فوينيتسكي: أماه! ماذا أفعل؟ لا داعي، لا تقولي! أنا أعرف ما ينبغي عمله! (لسيريبرياكوف) سوف تذكرني! (يخرج من الباب الأوسط.)

(ماريا فاسيليفنا تتبعه.)

سيريبرياكوف: ما هذا كله يا سادة؟ أبعدوا عني هذا المجنون! لا أستطيع أن أعيش معه تحت سقف واحد! يعيش هنا (يُشير إلى الباب الأوسط) بجواري تقريبًا ... فلينتقل إلى القرية، أو إلى الجناح الملحق، أو أنتقل أنا من هنا، لكني لا أستطيع أن أبقى معه في بيت واحد.

يلينا أندرييفنا (لزوجها)**:** سنرحل من هنا اليوم! أصدر التعليمات الآن فورًا!

سيريبرياكوف: هذا التافه!

سونيا (راكعة على ركبتَيها، تلتفت إلى أبيها، تقول بعصبية، من خلال الدموع)**:** كن رحيمًا يا بابا! أنا وخالي فانيا جِدُّ تعيسين! (تكتم القنوط) كن رحيمًا! رحيمًا! تذكَّر، عندما كنت أصغر سنًّا، كان خالي فانيا وجدتي يسهران الليالي في ترجمة الكتب لك ونسخ أوراقك ... طوال الليالي، طوال الليالي! وعملت أنا وخالي فانيا دون أن نذوق طعم الراحة، كنَّا نخشى أن نُنفق

على أنفسنا كوبيكًا واحدًا، ونُرسل لك كل النقود ... لم نكن عالة! ليس هذا ما أريد أن أقوله، ليس هذا، ولكن افهمنا يا بابا. كن رحيمًا!

يلينا أندرييفنا (مضطربة، لزوجها)**:** ألكسندر، أرجوك، تفاهم معه ... أتوسل إليك.

سيريبرياكوف: حسنًا، سأتفاهم معه ... أنا لا أتَّهمه بأي شيء. لست غاضبًا منه، ولكن سلوكه، أقل ما يُوصف به أنه غريب. طيب، سأذهب إليه. (يخرج من الباب الأوسط.)

يلينا أندرييفنا: كُن لطيفًا معه ... هدِّئه ... (تتصرف خلفه.)

سونيا (ملتصقة بمربِّيتها)**:** يا دادة! يا دادة!

مارينا: لا بأس يا بنيتي ... سيتصايح الإوز ثم يهدأ ... سيتصايح ثم يهدأ ...

سونيا: يا دادة!

مارينا (تمسح على رأسها)**:** ترتعشين كأنكِ في الصقيع! ... طيب، طيب يا مسكينة، الله رحيم. قليلًا من شاي الزيزفون أو التوت البري وينتهي هذا ... لا تحزني يا مسكينة ... (تنظر إلى الباب الأوسط وتقول بغضب) انظر كيف هاجوا، ذكور الإوز، لتخطفكم الأبالسة! (يسمع خلف المسرح صوت طلقة، ثم صرخة يلينا أندرييفنا، سونيا تنتفض) عليكم اللعنة!

سيريبرياكوف (يندفع داخلًا وهو يترنح من الفزع)**:** أمسكوه! أمسكوه! لقد جُنَّ!

(يلينا أندرييفنا وفوينيتسكي يتصارعان في الباب.)

يلينا أندرييفنا (تحاول انتزاع المسدس منه)**:** هاته! قلت لك هاته!

فوينيتسكي: دعيني يا Hélène! دعيني! (يتملص منها فيدخل راكضًا وهو يبحث بعينَيه عن سيريبرياكوف) أين هو؟ آه، ها هو ذا! (يُطلق النار عليه) خذ!

(صمت.)

لم أُصبه ... أخطأت ثانية! بغضب آه، يا للشيطان، يا للشيطان ... فليخطفه الشيطان ... (يقذف بالمسدس على الأرض ويرتمي على المقعد في إعياء.)

(سيريبرياكوف مذهول. يلينا أندرييفنا تستند على الحائط، تشعر بدوار.)

يلينا أندرييفنا: خذوني من هنا! خذوني، اقتلوني، ولكن ... لا أستطيع أن أبقى هنا، لا أستطيع!

فوينيتسكي (في يأس)**:** أوَّه، ما الذي أفعله! ما الذي أفعله؟!

سونيا (بصوت خافت)**:** يا دادة! يا دادة!

(ستار)

---

[1] العبارة من مسرحية جوجول «المفتش العام». (المعرب)

[2] الكل تنتظرهم ليلة واحدة (باللاتينية).

الفصل الرابع

(غرفة إيفان بتروفتش. هنا غرفة نومه، وكذلك مكتب إدارة الضيعة. بجوار النافذة طاولة كبيرة عليها دفاتر حسابات وأوراق مختلفة، طاولة مكتب عالية، خزانات، ميزان. طاولة أصغر لأستروف. على هذه الطاولة معدات رسم وألوان، وبالقرب منها حافظة أوراق. قفص به زرزور. على الجدار خريطة أفريقيا، يبدو لا حاجة لأحد إليها هنا. كنبة ضخمة، منجدة بمشمع. إلى اليسار بابٌ يُفضي إلى الغرف الداخلية. إلى اليمين باب يُفضي إلى المدخل. بجوار الباب الأيمن فُرِشت ممسحة أقدام لكيلا يوسخ الفلاحون المكان بأقدامهم. الوقت مساء خريفي. يسود السكون. تيليجين ومارينا يجلسان متقابلَين، ويلفَّان خيوط الصوف.)

تيليجين: أسرعي يا مارينا تيموفييفنا وإلا سينادوننا الآن للتوديع. أمروا بإحضار العربة.

مارينا (تحاول اللف أسرع)**:** بقي القليل.

تيليجين: يسافرون على خاركوف. سيعيشون هناك.

مارينا: هذا أفضل.

تيليجين: ذُعِروا ... يلينا أندرييفنا تقول: «لا أريد البقاء هنا ساعة واحدة ... فلنرحل، فلنرحل ...» تقول: «فلنعش في خاركوف، وبعد أن نستقر، نرسل في طلب المتاع ...» يسافرون بلا متاع ... وإذن يا مارينا تيموفييفنا فليس مقدرًا لهم أن يعيشوا هنا. ليس مقدرًا ... قضاء وقدر.

مارينا: هذا أفضل؟ ظهرًا أثاروا ضجة، وأطلقوا النار، يا للعار!

تيليجين: نعم، موضوع جدير بريشة آيفازوفسكي.[1]

مارينا: ليت عينيَّ لم تريَا.

(صمت.)

سنعيش كما كنَّا نعيش من قبل. الشاي صباحًا في الثامنة، الغداء في الواحدة، وفي المساء نجلس إلى العشاء. كل شيء بنظامه، مثل بقية البشر ... كما لدى المسيحيِّين (تتنهد) أستغفر

الله، لم أذق الشعرية منذ زمن طويل.

تيليجين: نعم، من زمان لم نطبخ شعرية.

(صمت.)

من زمان ... صباح اليوم يا مارينا تيموفييفنا، كنت مارًّا بالقرية، وإذا بالبقال يصيح بي: «إيه ... أنت أيُّها العالة!» أوَّه، كم أحسست بالمرارة!

مارينا: لا تهتم يا أخي. كلُّنا عالة على الرب. أنت، وسونيا، وإيفان بتروفتش، كلُّنا نعمل، لا أحدَ فينا يجلس بلا عمل ... كلنا ... أين سونيا؟

تيليجين: في البستان. طوال الوقت تتمشى مع الدكتور، تبحث عن إيفان بتروفتش. يخافان أن ينتحر.

مارينا: وأين مسدسه؟

تيليجين (همسًا)**:** أنا خبَّأته في القبو!

مارينا (بسخرية)**:** يا للذنوب!

(يدخل فوينيتسكي وأستروف قادمَين من الفناء.)

فوينيتسكي: دَعْني. (لمارينا وتيليجين) اخرجا من هنا، اتركاني وحدي ولو ساعة! أنا لا أطيق الحماية.

تيليجين: حالًا يا فانيا (يخرج على أطراف أصابعه).

مارينا: ذكر إوز: قا ... قا ... قا! (تجمع الصوف وتخرج.)

فوينيتسكي: دَعْني!

أستروف: بكل سرور، عليَّ أن أرحل عن هنا من زمان، ولكني، أُكرر ... لن أرحل ما لم تُعِد لي ما أخذته مني.

فوينيتسكي: أنا لم آخذ منك شيئًا.

أستروف: أحدِّثك بجدية، لا تعطِّلني، عليَّ أن أرحل من فترة طويلة.

فوينيتسكي: أنا لم آخذ منك شيئًا.

(يجلسان.)

أستروف: حقًّا؟ حسنًا، سأنتظر قليلًا، ثم سأضطر، مع الأسف، إلى استخدام القوة. سنوثقك ونفتشك ... أقول لك ذلك بمنتهى الجدية.

فوينيتسكي: كما تشاء.

(صمت.)

يا لَها من حماقة ... أطلقتُ النار مرَّتين فلم أُصبه ولو مرَّة! لن أغفر هذا لنفسي أبدًا!

أستروف: طالما رغبت في إطلاق النار، كان الأولى أن تُطلقه على رأسك أنت.

فوينيتسكي (يهزُّ كتفَيه)**:** غريبة. شرعت في القتل، ولكنهم لا يقبضون عليَّ، ولا يقدموننني للمحاكمة. إذن يعتبروننني مجنونًا (يضحك ضحكًا مغيظًا). أنا المجنون، وليس أولئك الذين يُخفون تحت قشرة الأستاذ والعالم العلامة تفاهتهم وبلادتهم، وقسوة قلوبهم الخارقة ... ليس المجانين أولئك اللائي يتزوجنَ العجائز ثم يخدعنهم علانية. لقد رأيت، رأيتك وأنت تُعانقها!

أستروف: نعم، عانقتها ... أما أنت فمُت بغيظك! (يُخرج له لسانه.)

فوينيتسكي (ناظرًا إلى الباب)**:** كلَّا، المجنونة هي الأرض، التي ما زالت تحملكم!

أستروف: هذه حماقة.

فوينيتسكي: فليكن، أنا مجنون، معتوه، من حقي أن أتفوَّه بحماقات.

أستروف: لعبة قديمة. أنت لست مجنونًا، بل مجرد شخص غريب الأطوار. مهرِّج أخرق. من قبل كنت أعتبر كلَّ شخص غريب الأطوار شخصًا مريضًا، غير طبيعي، أمَّا الآن فأعتبر أنَّ الحالة الطبيعية للإنسان أن يكون غريب الأطوار. أنت طبيعي تمامًا.

فوينيتسكي (يغطِّي وجهه بيدَيه)**:** يا للخجل! يا للعار! لو تدري كم أشعر بالخزي! هذا الإحساس الحاد بالخزي! هذا الإحساس الحاد بالخزي لا يمكن أن يُقارَن بأيِّ ألمٍ (بأسَى) هذا فظيع! (ينحني على الطاولة) ما العمل؟ ما العمل؟

أستروف: لا شيء.

فوينيتسكي: أعطني أي شيء! أوَّه يا إلهي ... أنا في السابعة والأربعين. لو افترضنا أنني سأعيش إلى الستين، إذن يبقى لي ثلاثة عشر عامًا. مدة طويلة! كيف سأعيش هذه الأعوام الثلاثة عشر؟ ماذا سأفعل؟ بِمَ أملؤها؟ أوَّه، أتدري ... (يعصر يد أستروف بتوتر) أتدري ... لو أمكن أن أعيش بقية حياتي بطريقة جديدة ... أن تستيقظ ذات صباح صحو هادئ فتشعر أنك بدأت تعيش بطريقة جديدة، وكل الماضي قد نُسِي ... تبدَّد كالدخان. (يبكي) أن أبدأ حياة جديدة ... قل لي، كيف أبدأ ... ممَّ أبدأ؟

أستروف (بأسَى)**:** إيه، تبًّا لك! عن أيِّ حياة جديدة تتحدث؟! حالتنا، حالتك وحالتي، ميئوس منها.

فوينيتسكي: حقًّا؟

أستروف: أنا واثق من ذلك.

فوينيتسكي: أعطني شيئًا ما ... (يشير إلى قلبه) هنا يحرقني.

أستروف (يصرخ بغضب)**:** كفى! (يهدأ) أولئك الذين سيأتون بعدنا بمائة أو مائتي عام سوف يحتقروننا، لأننا عشنا حياتنا بهذه الصورة الحمقاء، بهذه الفجاجة ... وربما وجد هؤلاء القادمون وسيلةً لجعل الإنسان سعيدًا، أما نحن ... ليس لديك أو لديَّ شيء سوى الأمل. الأمل بأن تزورنا الرؤى عندما نهجع في التابوت، بل وربَّما الرؤى السارَّة. (متنهدًا) نعم يا أخي ... في الناحية كلها لم يكن هناك سوى شخصين محترمين مثقَّفَين أنا وأنت ... ولكن خلال عشر سنوات فقط أغرقَتنا الحياة الضيقة الأفق، الحياة المزرية في أوحالها. سمَّمَت دماءنا بأبخرتها العفنة، فأصبحنا مبتذلين مثل الآخرين. (بحيوية) ولكن دعك من محاولة صرف نظري. هات ما أخذته مني.

فوينيتسكي: لم آخذ منك شيئًا.

أستروف: بل أخذت من صيدليتي المحمولة علبة مورفين.

(صمت.)

اسمع. إذا كنت تريد حتمًا أن تنتحر فاذهب إلى الغابة، وأطلق على نفسك النار هناك. أمَّا المورفين فهاتِه، وإلا فستنتشر الأقاويل والتلميحات، وقد يظن أحد أنني الذي أعطيته لك ... يكفيني أنني سأضطرُّ إلى تشريح جثتك ... أتظنُّ ذلك ممتعًا؟

(تدخل سونيا.)

فوينيتسكي: دعني وشأني.

أستروف (لسونيا)**:** صوفيا ألكسندروفنا، خالك أخذ من صيدليتي علبة مورفين ولا يريد إرجاعها. قولي له إنَّ هذا ... ليس من الحكمة عمومًا. ثم إنه لا وقت لديَّ. حان أن أرحل.

سونيا: يا خالي فانيا، هل أخذت المورفين؟

(صمت.)

أستروف: لقد أخذه، أنا واثق من ذلك.

سونيا: هاتِه. لماذا تخيفنا؟ (برقة) هات يا خالي فانيا! ربما كنت أنا أتعس منك، لكنني لا أيأس. إنني أصبر، وسوف أصبر إلى أن تنتهيَ حياتي نهايتها الطبيعية ... فاصبر أنت أيضًا ...

(صمت.)

هاته! (تُقبل يدَيه) يا خالي الحبيب، أيها الغالي، أيها العزيز، هاته! (تبكي) أنت طيب، ستُشفق علينا وستُعطيه لنا. اصبر يا خالي، اصبر!

فوينيتسكي (يُخرج العلبة من درج المكتب ويعطيها لأستروف)**:** ها هو، خذه! (لسونيا) ولكن ينبغي أن أعمل بسرعة، أن أعمل شيئًا ما بسرعة، وإلا فإنني لا أستطيع ... لا أستطيع ...

سونيا: نعم، نعم، سنعمل. ما إن نودعهم حتى نجلس لنعمل ... (تقلب الأوراق على المكتب بعصبية) أعمالنا أُهمِلت تمامًا.

أستروف (يضع العلبة في الصيدلية ويربط الأحزمة)**:** الآن يمكنني أن أرحل.

يلينا أندرييفنا (تدخل)**:** إيفان بتروفتش، أنت هنا؟ سنرحل الآن. اذهب إلى ألكسندر، يريد أن يقول لك شيئًا.

سونيا: اذهب، اذهب يا خالي فانيا. (تتأبَّط ذراعه) هيَّا بنا. أنت وبابا ينبغي أن تتصالحا. هذا ضروري.

(تنصرف سونيا وفوينيتسكي.)

يلينا أندرييفنا: إنني راحلة. (تمدُّ يدَها لأستروف) وداعًا!

أستروف: هكذا سريعًا؟
يلينا أندرييفنا العربة جاهزة.

أستروف: وداعًا.

يلينا أندرييفنا: لقد وعدتني اليوم أنك سترحل عن هنا.

أستروف: إنني أذكر سأرحل حالًا.

(صمت.)

فزعت؟ (يُمسك بيدها) هل هذا مخيف هكذا؟

يلينا أندرييفنا: نعم.

أستروف: هلَّا بقيتِ، هه؟ غدًا في الغابة.

يلينا أندرييفنا: كلَّا ... انتهى الأمر ... إنما أنظر إليكَ بهذه الجرأة لأن السفر قد تقرر ... كل ما أرجوه منك شيء واحد: لتكن فكرتك عني أفضل. أودُّ أن تحترمني.

أستروف: إيه (إشارة ضيق)! ابقَي هنا أرجوكِ. فلتعترفي بأنه ليس لديكِ ما تفعلينه في هذه الدنيا، ليس لديكِ أيُّ هدف في الحياة، ولن تجدي ما تشغلين به اهتمامك، وعاجلًا أم آجلًا ستستسلمين للأحاسيس، هذا محتَّم. وإذن فمن الأفضل ألَّا يكون ذلك في خاركوف، أو كورسك، بل هنا، في أحضان الطبيعة. جوٌّ شاعري على الأقل، حتى الخريف جميل ... هنا يوجد غابة، ودور نصف مهدمة، على ذوق تورجينيف.

يلينا أندرييفنا: كم أنتَ مضحك! إنني غاضبة منك، ومع ذلك ... سوف أتذكرك بكل سرور. أنت إنسان طريف، فريد. لن نلتقيَ بعد الآن أبدًا؛ ولذلك فما الداعي لأن أُخبِّئ؟ إنني قد همتُ بك قليلًا. حسنًا، فلنتصافح ولنفترق كأصدقاء. لا تذكرني بسوء.

أستروف (بعد أن صافحها)**:** نعم، فلتسافري ... (متفكرًا) تبدين إنسانًا طيبًا، عطوفًا، ومع ذلك يبدو وكأن هناك شيئًا غريبًا في جوهرك. ها أنت ذا قد جئتِ إليَّ هنا مع زوجك، فكان على كلٍّ من يعمل هنا، كل من ينقب، ويخلق شيئًا ما، أن يهجروا أعمالهم ويشغلوا أنفسهم طوال الصيف فقط بنقرس زوجك وبكِ. كلاكما — هو وأنتِ — نقلتما إلينا جميعًا عدوى فراغكما.

أنا همت بكِ، ولم أفعل شيئًا طوال شهر، وفي تلك الأثناء مرض الناس، وفي غاباتي ومشاتلي رعَى الفلاحون مواشيَهم ... وهكذا، فحيثما حللتما، أنتِ وزوجك، تحملان معكما الدمار ... إنني أمزح بالطبع، ولكن ... غريبة، إنني على يقين من أنكِ لو بقيتِ، فسيحلُّ خراب هائل. ولهلكت أنا، وأنتِ أيضًا ... ما كنت لتتجنَّبي البلاء. حسنًا، سافري. Finita la comedia![٢]

يلينا أندرييفنا (تأخذ قلمًا من على مكتبه وتُخفيه بسرعة)**:** هذا القلم سآخذه للذكرى.

أستروف: شيء غريب ... كنَّا معارفَ وفجأةً، لسبب ما ... لن نلتقيَ بعد الآن أبدًا ... هكذا حال الدنيا ... طالما نحن هنا وحدَنا، وطالما لم يدخل الخال فانيا بعدُ بباقة أزهار اسمحي لي ... أن أُقبِّلك ... قبلة الوداع ... حسنًا؟ (يقبِّلها في خدِّها) طيب ... هذا عظيم!

يلينا أندرييفنا: أرجو لك كل الخير ... (تتلفت) ليكن ما يكون، مرة في العمر! (تُعانقه باندفاع، وعلى الفور يبتعد كلٌّ منهما عن الآخر بسرعة) ينبغي أن أرحل.

أستروف: ارحلي بسرعة ... إذا كانت العربة جاهزة فلترحلي.

يلينا أندرييفنا: يبدو أحدهم قادم.

(كلاهما يُصيخان.)

أستروف: Finita.

(يدخل سيريبرياكوف، وفوينيتسكي، وماريا فاسيليفنا ومعها كتاب، وتيليجين وسونيا.)

سيريبرياكوف (لفوينيتسكي)**:** فلتنزل اللعنة على رأس مَن يتذكر الماضي. بعد كل ما حدث، وفي هذه الساعات القليلة عانيتُ الكثير، وقلبت في رأسي الكثير، حتى ليُخيل إليَّ أنني أستطيع كتابةَ بحث كامل كوصية للأحفاد عن كيف ينبغي أن نحيا. إنني أقبل اعتذارك بكل سرور، ومن جهتي أيضًا أرجو المعذرة ... وداعًا! (يتبادل القُبَل مع فوينيتسكي ثلاث مرات.)

فوينيتسكي: سوف تحصل بانتظام على ما كنت تحصل عليه سابقًا. كل شيء سيكون كما كان.

(يلينا أندرييفنا تُعانق سونيا.)

سيريبرياكوف (يقبِّل يد ماريا فاسيليفنا)**:** maman ...

ماريا فاسيليفنا (تُقبِّله)**:** ألكسندر، تصور ثانية وأرسل لي صورتك. أنت تعلم كم أعزك.

تيليجين: الوداع يا صاحب المعالي ... لا تنسونا!

سيريبرياكوف (بعد أن يُقبِّل ابنته)**:** الوداع ... الوداع جميعًا! (يمدُّ يده لأستروف) أشكركم على صحبتكم اللطيفة ... إنني أحترم طريقة تفكيرك، واهتماماتك، وطموحاتك، ولكن اسمح لي كعجوز أن أُضمِّن تحيةَ الوداع ملحوظةً واحدة فقط ينبغي القيام بعمل يا سادة! ينبغي القيام بعمل! (انحناءة للجميع) تمنياتي بالتوفيق! (ينصرف، تتبعه ماريا فاسيليفنا وسونيا.)

فوينيتسكي (يقبِّل يد يلينا أندرييفنا بقوة)**:** الوداع ... سامحيني ... لن نرى بعضنا أبدًا.

يلينا أندرييفنا (بتأثر)**:** الوداع يا عزيزي! (تُقبِّله في رأسه وتنصرف.)

أستروف (لتيليجين)**:** قل لهم يا وفل بأن يُحضروا لي العربة أنا أيضًا.

تيليجين: حاضر يا صديقي. (ينصرف.)

(يبقى أستروف وفوينيتسكي فقط.)

أستروف (يجمع الألوان من على المكتب ويُودعها الحقيبة)**:** ماذا، ألن تخرج لوداعهم؟

فوينيتسكي: فليرحلوا ... أما أنا ... أنا لا أستطيع، صعب عليَّ. ينبغي أن أشغل نفسي بشيء ما بسرعة ... أن أعمل، أن أعمل! (يفتش في الأوراق التي على الطاولة.)

(صمت. تسمع أجراس.)

أستروف: رحلوا ... لا بدَّ أنَّ الأستاذ سعيد لن تُغريَه أبدًا بالمجيء إلى هنا مرة ثانية.

مارينا (تدخل)**:** رحلوا. (تجلس في المقعد وتحوك الجورب.)

سونيا (تدخل)**:** رحلوا. (تمسح عينَيها) وفقهما الله! (لخالها) حسنًا يا خالي فانيا، هيَّا نعمل شيئًا ما.

فوينيتسكي: إلى العمل، إلى العمل ...

سونيا: من زمان، من زمان لم نجلس معًا إلى هذه الطاولة. (تُشعل المصباح على الطاولة) يبدو لا يوجد حبر ... (تأخذ المحبرة وتذهب إلى الصوان فتملؤها حبرًا) أشعر بالحزن لأنهم رحلوا.

ماريا فاسيليفنا (تدخل ببطء)**:** رحلوا! (تجلس وتنهمك في القراءة.)

سونيا (تجلس إلى المكتب وتُقلب دفتر الحسابات)**:** سنسجِّل يا خالي فانيا قبل كلِّ شيء كشوف الحسابات. أمورنا مهملة جدًّا ... اليوم أرسلوا ثانية يطلبون كشوف الحسابات. اكتب. اكتب أنت كشفًا، وسأكتب أنا آخر.

فوينيتسكي (يكتب)**:** «كشف حساب ... للسيد ...»

(كلاهما يكتبان في صمت.)

مارينا (تتثاءب)**:** أنا نعسانة.

أستروف: يا للهدوء! الرياش تصرُّ، صرَّار الليل يئزُّ. الجو دافئ، مريح، لا أرغب في الرحيل عن هنا.

(تسمع أجراس الخيول.)

ها هم قد أحضروا العربة ... إذن لم يبقَ إلا أن أودِّعَكم يا أصدقائي ... أودِّع مكتبي، ثم أنطلق! (يضع الخرائط في الحافظة.)

مارينا: وما الداعي للعجلة؟ ابقَ معنا.

أستروف: لا يمكن.

فوينيتسكي (يكتب)**:** «وبقيَ من الدين القديم روبلان وخمسة وسبعون ...»

(يدخل العامل.)

العامل: ميخائيل لفوفتش، العربة جاهزة.

أستروف: سمعت. (يسلِّمه الصيدلية والحقيبة والحافظة) خذ هذا. إياك أن تثنيَ الحافظة.

العامل: حاضر.

أستروف: حسنًا ... (يتجه إليه للتوديع.)

سونيا: متى سنراك؟

أستروف: ليس قبل الصيف، فيما أعتقد. في الشتاء لا أظن ... بالطبع لو حدث شيء أخبروني وسآتي. (يشدُّ على يدَيها) أشكركم على الخبز، والملح، والعطف ... باختصار، على كل شيء. (يتجه إلى المربية ويُقبِّل رأسها) وداعًا يا عجوزي.

مارينا: أهكذا تسافر دون شاي؟

أستروف: لا أريد يا دادة.

مارينا: ربما تشرب فودكا؟

أستروف (مترددًا)**:** يمكن ...

(ماريا تنصرف.)

(بعد صمت) حصاني بدأ يعرج لسبب ما. بالأمس لاحظت ذلك عندما ساقَه بتروشكا ليسقيَه.

فوينيتسكي: ينبغي تغيير الحدوات.

أستروف: سأضطرُّ أن أعرج على الحداد في قرية روجد يستفينويه. لا مفر. (يقترب من خريطة أفريقيا ويتأملها) لا بدَّ أن الحر الآن شديد في أفريقيا هذه، شيء فظيع!

فوينيتسكي: نعم، في الغالب.

مارينا (تعود حاملةً صينية عليها قدح فودكا وقطعة خبز)**:** تفضَّل.

(أستروف يشرب الفودكا.)

بالصحة يا ولدي. (تنحني بشدة) ألَا تمزُّ بالخبز؟

أستروف: كلَّا، لا أريد ... ثم حظًّا سعيدًا! (لمارينا) لا توصليني يا دادة، لا داعي.

(ينصرف. سونيا تتبعه حاملةً شمعة لتوصله. مارينا تجلس في مقعدها.)

فوينيتسكي (يكتب)**:** «الثاني من فبراير، زيت نباتي عشرون رطلًا ... السادس عشر من فبراير، زيت نباتي مرة أخرى عشرون رطلًا ... شعير ...»

(صمت. تسمع أجراس العربة.)

مارينا: رحل.

(صمت.)

سونيا (تعود. تضع الشمعة على الطاولة)**:** رحل ...

فوينيتسكي (يحسب على العداد ويسجل)**:** الجملة ... خمسة عشر ... خمسة وعشرون ...

(سونيا تجلس وتكتب.)

مارينا (تتثاءب)**:** آه، أستغفر الله ... (تيليجين يدخل على أطراف أصابعه، يجلس قرب الباب ويضبط الجيتار بصوت خافت.)

فوينيتسكي (لسونيا وهو يمسِّد شعرها)**:** كم أُعاني يا بُنيَّتي! آه لو تدرين كم أعاني!

سونيا: ما العمل؟ علينا أن نعيش!

(صمت.)

سوف نعيش يا خالي فانيا ... سنعيش عددًا عديدًا من الأيام والأمسيات الطويلة. وسنتحمَّل بصبر تلك المحن التي ستبلونا بها الأقدار. سوف نكدح للآخرين الآن، وفي شيخوختنا، دون أن نذوق طعم الراحة، وعندما يدنو أجلنا سنموت مذعنين، وهناك، خلف التابوت، سنقول إننا عانينا، إننا بكينا، إننا قاسينا المرارة، وسيُشفق الله علينا، وسنرى يا خالي، يا خالي العزيز، حياة مشرقة، رائعة، جميلة، وسنفرح، وننظر إلى بؤسنا الحالي بتأثر وابتسامة، ونرتاح. إنني أومن يا خالي، أومن بحرارة وقوة ... (تجثو أمامه على ركبتَيها وتضع رأسها على يدَيه. تقول بصوت مرهق.) سنرتاح!

(تيليجين يعزف على الجيتار بصوت خافت.)

سنرتاح! سنسمع ترانيم الملائكة، وسنرى السماء مرصعة بالماس، سنرى كيف تغرق كل شرور الدنيا، كل آلامنا في بحر الرحمة، الذي سيغمر العالم كلَّه، وستُصبح حياتنا هادئة، رقيقة، عذبة كالحنان. أنا أومن، أومن ... (تمسح له دموعه بالمنديل) يا خالي فانيا المسكين، أنت تبكي ... (من خلال الدموع) أنت لم تعرف الفرح في حياتك، لكن مهلًا، مهلًا يا خالي فانيا ... سوف نرتاح (تُعانقه) سنرتاح!

(الحارس يدقُّ.)

(تيليجين يُدندن بصوتٍ خافتٍ: ماريا فاسيليفنا تدوِّن ملاحظاتها على هامش الكتيِّب. مارينا تحوك الجورب) سوف نرتاح!

(الستار يهبط ببطء.)

---

[١] إيفان آيفازوفسكي (١٨١٧–١٩٠٠م) مصوِّر روسي اشتهر برسم مناظر البحر والمعارك البحرية. (المعرب)

[٢] انتهت التمثيلية (بالإيطالية).

الفـــــهـــــرس

شخصيات المسرحية
الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع